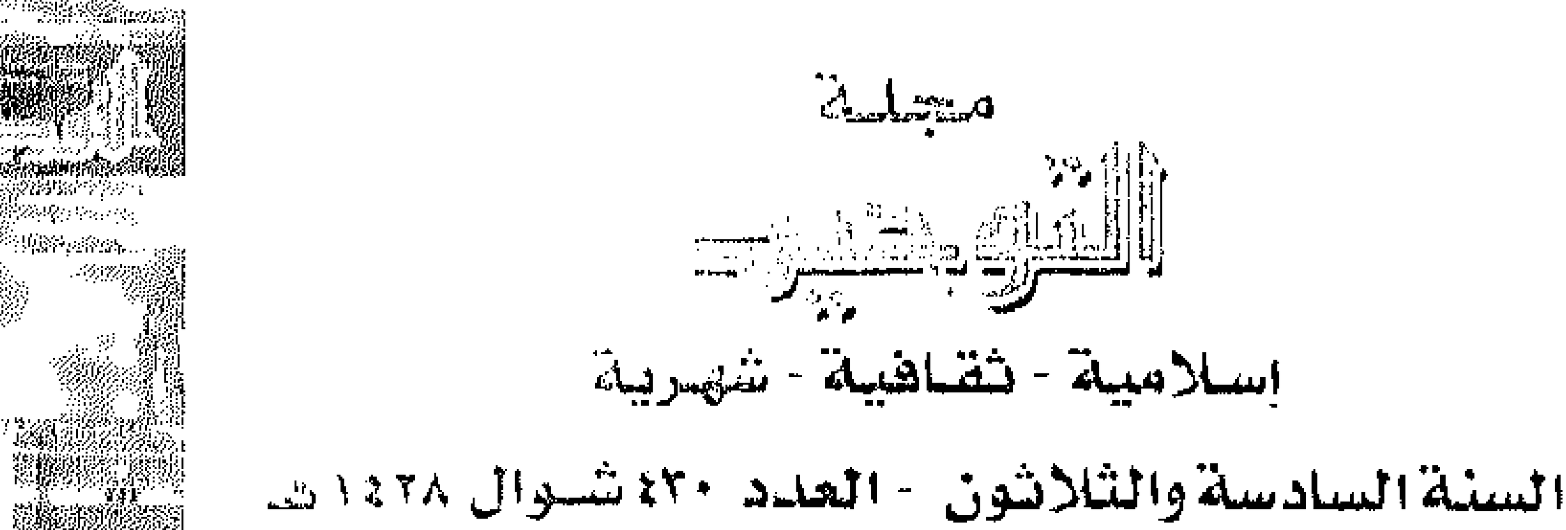

ضعف الأمة .. والوجه الأمريكي القبيح !!
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
التربية الصوفية
في ميزان
الإسلام
القول السديد
في حكم الجمعة إذا
اجتمعت مع العيد
العدد ٤٣٠ - السنة السادسة والثلاثون - شوال ١٤٢٨ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً
خواطر إيمانية بعد انقضاء شهر الخيرات

بسم الله الرحمن الرحيم

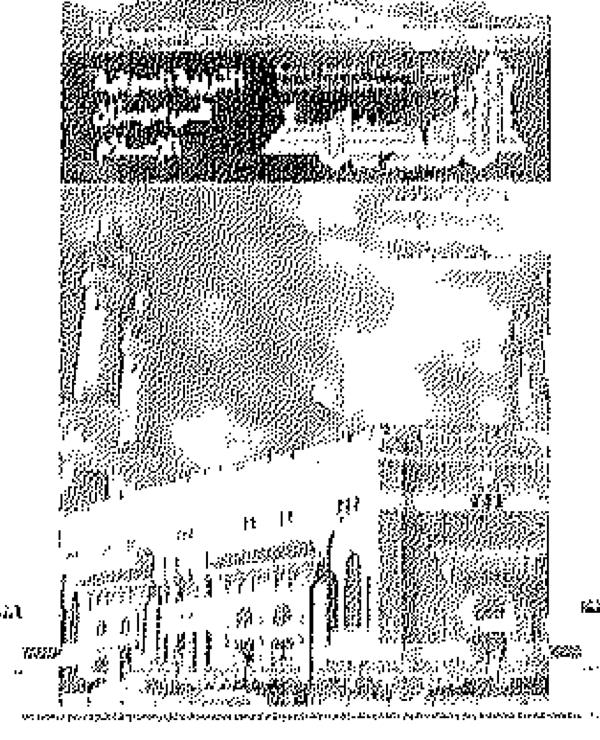
فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية



السنة السادسة والثلاثون - العدد ٤٣٠ شوال ١٤٢٨ هـ



التحرير

٨ شارع قولة - عابدين القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧- فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦- ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

تقبل الله منا ومنكم

بعد ساعات قليلة تنتهي أيام هذا الشهر الكريم المبارك ولياليه، السعيد حقًا، والفائز صدقًا من حاز القبول، ونال رضى رب العالمين، وفي مرور الأيام وانقضاء الشهور والأعوام عبرة للمعتبرين، فعلى العاقل أن يستعد لآخرته، وأن يشكر ربه على نعمه، وأن يواصل سيره إلى ربه عابدًا طائعًا، خاشعًا ذليلاً.

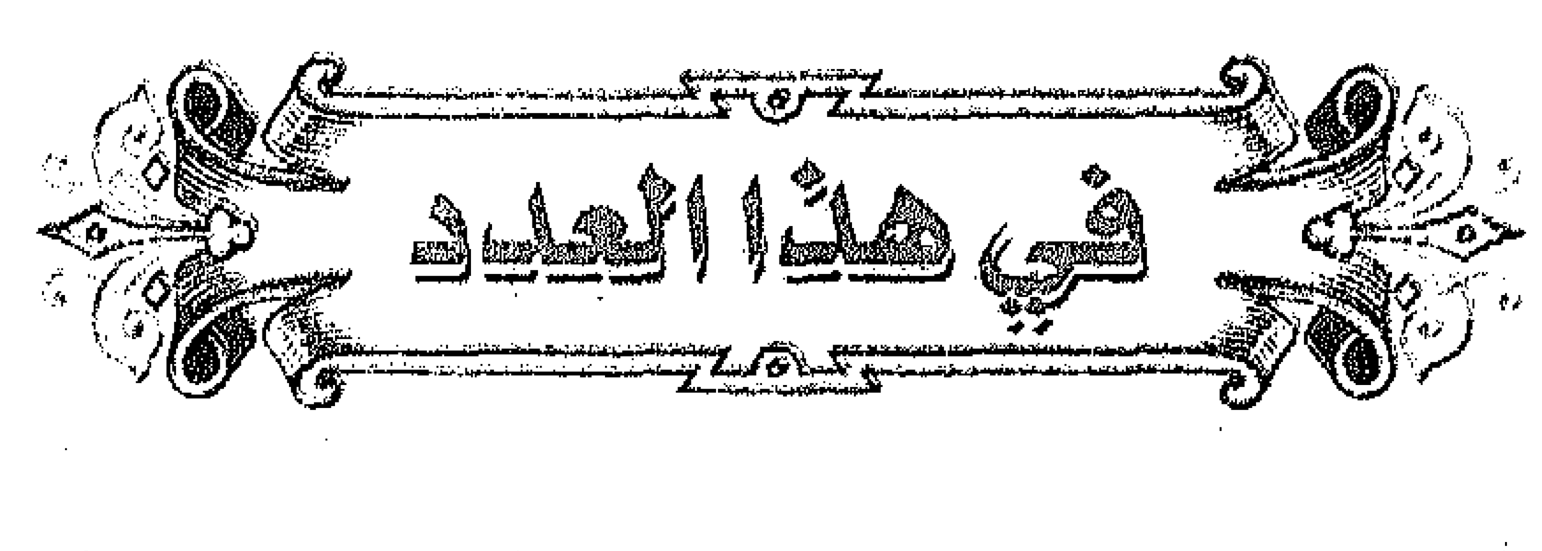
ومن الأمور النافعات المداومة على فعل الصالحات، فمن زكت نفسه وتطهرت في رمضان، وترفعت عن الدنايا والعصيان، فعليه متابعة أعمال الخير والبر والصدقة والإحسان بعد رمضان، لأن من علامة قبول الطاعة الطاعة بعدها، ومما يحسن التنبيه عليه هنا صيام ست من شوال، ومن فعل فكأنما صام الدهر بخبر سيد ولد آدم ﷺ.

وبهذه المناسبة نزف البشرى إلى عموم المسلمين في أنحاء الأرض بالعيد المبارك، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل من الجميع صيامهم وقيامهم وصالح أعمالهم، وأن يعيد هذه الأيام المباركة والأمة الإسلامية ترفل في ثوب العزة والتمكين.

التحرير

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط



ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - عابدين - مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة :
Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير :
Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات :
See2070@hotmail.com

موقع المجلة على الإنترنت :
www.altawhed.com

موقع المركز العام :
www.Elsonna.com

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفرع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



خواطر إيمانية بعد انقضاء شهر القرآن

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين، أما بعد:

فكل عام وأنتم بخير، وتقبل الله منا ومنكم صالح العمل، وبارك لنا في أعمالنا وأعمارنا، وغفر الله لنا ولكم الذنوب والخطايا ما تقدم منها وما تأخر، ورزقنا المزيد من القُرْبِ منه سبحانه بالحرص على القُرُبَات، والبعد عن مواطن الزلات والعثرات، ووفقنا للمزيد من ذكره وشكره وحسن عبادته، وحسن الظن به سبحانه، وثبتنا على الإيمان والإسلام، ووفقنا للإحسان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». رواه البخاري، ك التوحيد، ومسلم ك الذكر، والترمذي ك الزهد، والدعوات، وابن ماجه ك الأدب، وأحمد في مسند المكثرين بروايات عديدة وفي بعضها: «من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أَزِيدُ، ومن عمل سيئة فجزاؤه سيئة أو أَغْفِرُ، ومن عمل قراب الأرض خطايا ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إلي شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إليَّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

هل شعرت بالقرب من ذي الجلال والإكرام ؟

هل قرأت القرآن في رمضان ؟

هل زال الران من على قلبك أم على قلوب أقفالها؟

هل استشعرت حلاوة القرآن ؟

هل تعرفت على ربك وأنت تتلو كلامه؟

هل وقفت على أحكامه وعرفت حلاله وحرامه؟

هل تأثرت بوعده ووعيده، فأورثك ذلك رغبةً ورهبة، وامتلأ قلبك رجاءً وخشية ؟

هل اقشعر قلبك، وجلدك ؟

هل اطمأن قلبك ؟

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

[الزمر: ٢٢- ٢٣].

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد].

هل تعرفت على ربك الرحمن من آيات القرآن؟ لا شك أن القرآن الكريم هو كلام ربنا العظيم، نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الصادق الأمين، وقد حفظه الله تبارك وتعالى فلم تنله أيدي العابثين ولم تطله أيدي المحرفين.

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٠-٥١].

سبحان ربي العظيم، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الصافات: ١٨٠- ١٨١].

إن أول سورة في القرآن، وهي أعظم سورة في القرآن لم يعرف البشر مثيلاً لها، ولم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، فاتحة الكتاب وأم القرآن تُعرفنا على ربنا الرحمن فهو رب العالمين الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، الرزاق ذو القوة المتين، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، مدبر الأمر: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾

[السجدة: ٤- ٩].

ذلكم الله رب العالمين المستحق لجميع أنواع المحامد والمدائح لما له من صفات الجلال والكمال، وبما أنعم به على عباده من نعم لا سبيل لحصرها ولا طاقة لهم على عدها وإحصائها: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، سبحانك اللهم وبحمدك، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وتسترسل السورة الكريمة فتعرفنا بربنا الرحمن الرحيم، قسم الرحمة مائة جزء، فأنزل منها جزءًا واحدًا منه يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، فلو يعلم الكافر بكل

القرآن يعرفك بالذي أنزله جل وعلا، فهل ذقت حلاوة معرفة الله بآياته وصفاته؟

الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار، خلق الله سبحانه الجنة وجعلها دارًا للرحمة لا يدخلها إلا أهل رحمة الله، وقال لها: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، فهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩].

وهو سبحانه الملك، مالك يوم الدين، حيث يرث الأرض ومن عليها، ويحشر الناس حفاة عراة غرلاً بهما: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦-١٧].

فمن يستحق العبادة سواه، وإلى من نلجأ إلا لله، ومن يمد لنا يد العون إلا الله، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن أهل الدنيا لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وطويت الصحف وجف القلم بما أنت لاق، فاللهم اهدنا بفضلك إلى صراطك المستقيم الموصل إلى جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وقنا يا مولانا سبيل المغضوب عليهم بتكذيبهم الحق ومعاندتهم له، وسبيل الضالين الذين ضلوا الحق وأخطأوه وتخبطوا فيه: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وهو سبحانه الذي خلقنا والذين من قبلنا، وخلق لنا ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم، جعل لنا الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لنا، انظر إلى ثمره إذا أثمر وينعه، وكلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين.

خلق الله تعالى آدم واستخلفه في الأرض وقال للملائكة إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء، وتاب عليه حين عصاه، وعلمه كيف يتوب، ثم تاب عليه، فهو سبحانه التواب الرحيم.

ولو تتبعنا ما في آي القرآن من أوصاف وأفعال وأسماء لربنا الرحمن لطال بنا المقام والمقال، ولكن القلم يعجز عن الإحصاء، والقلب والعقل يعجز عن الإحاطة والإدراك، فسبحانك اللهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ومما وصف الله به نفسه في كتابه ما ذكره سبحانه في أعظم آية في القرآن، التي من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

الجنة دار رحمة الله تعالى يرحم بها من يشاء، ولو يعلم الكافر سعة رحمة الله لم ييأس من الجنة

عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، ويحب الله تبارك وتعالى من يحبها ويدخله الجنة، كما قال النبي ﷺ للرجل الذي كان يقرأ بها في كل صلاة: «حُبك إياها أدخلك الجنة». وقال ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه». وما هذا إلا لأن الرجل قال عنها: «لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها».

وهي المتضمنة لاسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، فـ «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد» أن تملأ قلوبنا بمحبتك وطاعتك، وأن ترزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك، وأن ترزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، ونعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، والرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مُضلة.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

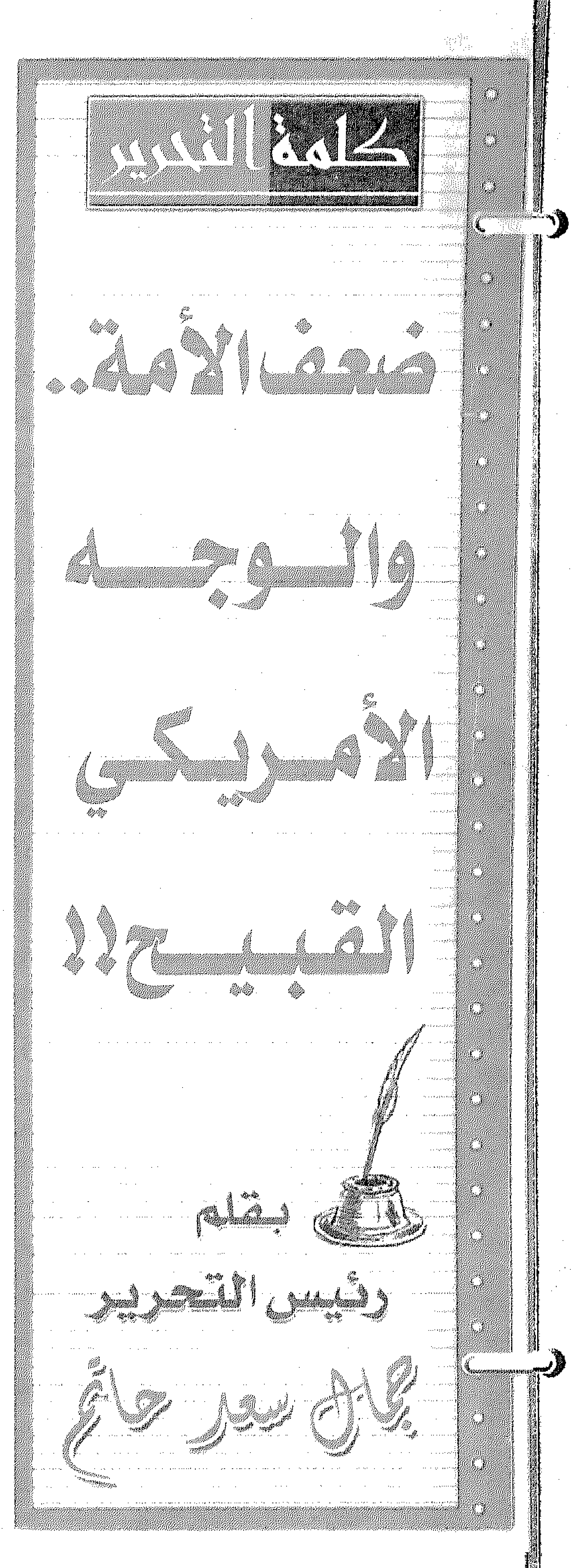
وما بين دفتي المصحف من آيات تتضمن الكثير من الأسماء والصفات لنتعرف على ربنا الرحمن كلما تلونا آيات القرآن الواجب علينا تجاه هذه الآيات أن نعلمها لنعرف بها ربنا، وان نعلم يقينًا أن الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولا يحيطون به علمًا ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، فتقطع الطمع عن إدراك كيفية ذاته العليا، وصفاته السرمدية، مع اثباتنا لما أثبته القرآن ونفينا ما نفاه القرآن، وأن نسكت عما سكت عنه القرآن، وكذلك مع ما ثبت عن الرسول ﷺ في صحيح السنة، نثبته لله على الوجه اللائق بالله، ولا نرد على رسول الله ﷺ، فهو أعلم بالله عز وجل من كل أحد سواه لأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

ولهذا قال علماؤنا الأجلاء: إن اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به أعلم الخلق به رسول الله ﷺ من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تحريف.

رزقنا الله وإياكم من الإيمان به وطاعته ما يبلغنا به جنته ورضوانه، ومن الخوف منه وخشيته ما يحول به بيننا وبين معاصيه، ومن اليقين ما يهون به علينا مصائب الدنيا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمًا عدادًا، وبعث فينا سراجًا وهاجًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد المستضعفين بالنصر والتمكين، وتوعد الأعداء بالخزي المبين، وصلى الله وسلم وبارك على سيد البشرية وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

بين هوان الأمة وضعفها.. وكيد الكائدين من أعدائها يوشك الشهر الكريم على الرحيل، بما أودع فيه العبادُ من أفعال، واللبيب من ختم شهره بتوبة صادقة بالبعد عن المعاصي والآثام، وأعد العدة بزاد التقوى ليعمر به مستقبل الأيام، والمفلسُ من أغرق نفسه في السيئات، ولقي ربه وهو على العصيان، والتوبة ليست نقصًا، بل هي من أفضل الكمالات، ومن أحب الحسنات إلى الله، فالله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.

ينقضي رمضان والعبد منا وكلنا له عبد، يفتقر إلى عفو مولاه ليغفر له ذنوبه وخطاياه، وإذا قرُب العبد من ربه لطف به وعافاه، ومن كل شر ومكروه عصمه ونجاه، ورفعه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من العبد على بال.

أمريكا تكشف عن وجهها القبيح !!

ينقضي رمضان وهوان الأمة وضعفها يدفع أعداء الأمة للكشف عما تكنه صدورهم ضد الإسلام وأهله، فقد اعتاد الأمريكان على مدى الأعوام الماضية على تقديم التهاني للأمة الإسلامية في أعيادها، فمرة يقدم لهم «بوش» التهنئة باحتلاله أفغانستان، ومرة باحتلال العراق، وبالأمس القريب وبينما يستعد المسلمون لاستقبال عيد الأضحى المبارك، وفي مسرحية هزلية تعبر عن الحقد الدفين لدى «بوش» وأسرته، يقوم بإعدام الرئيس العراقي الراحل في منظر بشع غير آدمي برسالة وقحة أراد إيصالها إلى المسلمين قادة وشعوبًا، وفي هذا العام وبمناسبة شهر رمضان المبارك واستقبال عيد الفطر، يقدم «بوش» تهنئته بنفس الطريقة التي يجيدها بقرار من الكونجرس بتقسيم العراق إلى دويلات ثلاث: شيعية، وكردية، وسنية، وبعد مضي أكثر من أربع سنوات على الاحتلال الأمريكي للعراق المسلم

تنكشف المزيد من الحقائق عن الهدف الحقيقي من وراء الغزو لهذا البلد المسلم.

وينص المشروع الذي وافق عليه مجلس الشيوخ الأمريكي على قيام ثلاثة أقاليم: شيعية، وسنية، وكردية، تنتظم في إطار حكومة فيدرالية.

ويزعم السيناتور «بايدن» مقدم المشروع والذي ينوي ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة، أن هذا الاقتراح يمثل الوسيلة المقبولة لإنهاء الحرب الدائرة في العراق، وعودة القوات الأمريكية إلى أرض الوطن على أن تترك خلفها عراقًا مستقرًا- على حد زعمه-. «وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وإن الادعاء الذي ساقه مجلس الشيوخ الأمريكي من وراء هذا القرار الخطير والذي يقضي بتمزيق العراق يَصبُّ في مصلحة إسرائيل والاستراتيجية الأمريكية للسيطرة على بلدان الشرق الأوسط، والتي أعلنها مرارًا وتكرارًا وزير الخارجية الأمريكي السابق «كولن باول» عشية الغزو الأمريكي الصهيوني للعراق.

وقد كشفت مجلة القوات المسلحة الأمريكية عن هذا المخطط في عددها الصادر في شهر يوليو العام الماضي، عندما تحدثت عن «خريطة الدم» التي تحوي خطة لتقسيم الوطن العربي، وإعادة رسم خارطة بما يحقق قيام دويلات على أسس طائفية وعرقية.

إن كل الصامتين على المؤامرة التي تجرى علانية ضد بلد إسلامي شقيق، سيدفعون ثمنها غاليًا، إن لم يكن اليوم فغدًا، وإن هذا المخطط الشيطاني لم يأت جزافًا، ولم يكن قرارًا جاء بمحض المصادفة، بل هو تعبير عن الفكرة التي ظلت تراود كبار رجالات الحزبين الجمهوري والديمقراطي الأمريكيين على مدى سنوات طوال.

المخطط الإسرائيلي لما بعد الانسحاب من العراق!!

فقد نشرت صحيفة «بديعوت أحرانوت» الإسرائيلية في ٣١ / ٨ / ٢٠٠٦ في معرض حديثها عن وثيقة وضعتها بأنها بالغة الخطورة تعلقت بمخطط ما بعد الانسحاب الأمريكي من العراق، وأشارت إلى أن الوثيقة قدمت إلى وزير الدفاع الإسرائيلي «إيهود باراك» الذي استنفر طاقم وزارته لدارستها، وذكرت الصحيفة أن إعداد تلك الوثيقة قد استغرق ثلاثة أشهر، وأن فرق عمل من خمس جهات شاركت في الإعداد، وهذه الجهات هي : وزارة الدفاع، وشعبة الاستخبارات العسكرية، وقسم التخطيط في الجيش، ومجلس الأمن القومي، ووزارة الخارجية، وكان السؤال الأساسي الذي طلب الإجابة عليه من الجميع: كيف سيؤثر الانسحاب الأمريكي من العراق على المصالح الشرق أوسطية يمثل أسوأ احتمال توقعته إسرائيل في يوم من الأيام، إذ سيكون الانسحاب بمثابة «تسونامي» يضرب المنطقة.

وقد أظهرت الوثيقة أن واشنطن قد حسمت أمرها فيما يتعلق بالانسحاب المبكر من العراق، ودللّتْ على ذلك بقرار الإدارة الأمريكية بزيادة المساعدات الأمريكية لإسرائيل بشكل كبير يصل في غضون عقد من الزمان إلى ثلاثين مليار دولار، بواقع ثلاثة مليارات سنويًا.

وفي تقديرها لموقف ما بعد الانسحاب تحدثت الوثيقة عن ثلاثة مكامن للخطر ستنجم عن ذلك، كما يلي:

- أن الانسحاب سيُنظَر إليه في العالمين العربي والإسلامي كهزيمة مروعة

لأمريكا، وسيؤدي إلى زيادة هائلة في طاقة الحركات الإسلامية الجهادية.

□ حذرت الوثيقة من أن الانسحاب سيكون عنصرًا مشجعًا للمقاومة الفلسطينية، وعلى توجيه ضربات لإسرائيل، وأن العراق سيعود ليصبح نقطة انطلاق لتنفيذ إطلاق الصواريخ تجاه إسرائيل.

□ رأت الوثيقة أن الانسحاب من العراق سيحرر إيران من الضغوط الممارسة عليها حاليًا وسيسمح لها بتطوير برنامجها النووي، وصولاً إلى إنتاج القنبلة النووية، في حين أن سوريا ستنجو من الحملة الأمريكية الهادفة إلى تضييق الخناق على نظام الحكم فيها.

وإذا كنا نستعرض هذه الأراء من خلال ذلك التقرير الذي يناقش مقدمًا الآثار المترتبة على الانسحاب الأمريكي إذا حدث وبصرف النظر عن كل المخططات المحتملة فإننا نجد أنفسنا أمام تساؤل غريب: ما هي الاستعدادات والخطط التي وضعناها إذا حدث هذا الانسحاب، أم أننا سنقف مكتوفي الأيدي أمام ما يحدث ويجري من مخططات.. وكأن الأحداث بمنأى عن كيان الأمة المراد القضاء عليها.

المصالح الإيرانية الأمريكية

إن المتابع للأحداث والعلاقات الإيرانية الأمريكية يجد تعاونًا أمريكيًا إيرانيًا يحدث في كثير من الأوقات، بل إننا نستطيع أن نؤكد بشكل قطعي أن ما تقاطعت المصالح بين البلدين في قضية من القضايا إلا وكان التنسيق بينهما على أعلى المستويات، والجميع يشهد بالمؤامرة التي اجتمعت خيوطها للإطاحة بالعراق ومن قبله أفغانستان حيث نسقت ودبرت وتآمرت المخابرات الإيرانية مع المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي ووضعت الخطط، وتم شراء قادة القبائل في أفغانستان بسلاح المال الفتاك، وقادة الجيش في العراق لتسهيل دخول الأمريكان إلى كل من أفغانستان والعراق، وتمكين الشيعة من العراق وضرب السنة!!

محاولات غربية دؤوبة للنيل من الإسلام!!

ينقضي شهر رمضان وطعنات أعداء الإسلام في الغرب توجه إلى الأمة الإسلامية، ويخرج علينا قسٌ أمريكي يدعى «بيل كيلير» يتهم الإسلام بأنه دين زائف، وأن المسلمين يتبعون إلهًا زائفًا، وأن الدين الإسلامي أكذوبة عمرها ١٤٠٠ عام..

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا، وتعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وهذا القس يعيد إلى الذاكرة ما كان قد قاله من قبل من خلال برنامجه الديني «الصلاة المباشرة» الذي كان يقدمه في أحد القنوات الفضائية الأمريكية، والذي تم إلغاؤه من كثرة ما عُرض فيه من سب واتهامات للدين الإسلامي، لكنه ما لبث أن أعد برنامجًا آخر ليواصل ما قد بدأه في برنامجه القديم... ومن المتوقع بدء عرضه قريبًا، وقد أكد في تصريح له إنه لن يقول فيه إلا ما قد قاله طيلة السنوات الخمس الماضية وهي المدة التي عرض فيها البرنامج القديم تحديًا لمشاعر المسلمين!!

وهذه الاتهامات ليست غريبة على العالم الإسلامي فقد اعتاد المجتمع الغربي أن يصدر عنه أفعال تدل على التعصب الأعمى ضد الإسلام وأهله، وتكشف عما بداخلهم من حقد دفين للإسلام والمسلمين، والمسألة ليست مجرد تصريح أو اتهام

يعقبه اعتذار، وإنما هي مخطط موضوع ومدروس هدفه القضاء على كل الحواجز التي تقف عقبة في طريق أمريكا نحو السيطرة على العالم الإسلامي، فمثل هذا القس ينبي اتهامه على شيء واقعي ولا يقيم الدليل عليه، فيجب على المسلمين أن ينتبهوا إلى مثل هذه المؤامرة، ويعوا جيدًا دروس الماضي، وأن يستعدوا لمواجهة هذه الحرب النفسية التي تشنها أمريكا ضدهم... فهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وهذه ليست قضية جديدة، وإنما هي تكرار لحملات مستمرة بدأها «بوش» الجد، وانحدر منه إلى «بوش» الحفيد، الذي يعتبر أحد زعماء «جمعية المحافظين الجدد» الصهيونية الصليبية، التي تعتبر بدورها امتدادًا لحملات التشهير بالإسلام والمسلمين.

ضعف الأمة وطعنات المنتسبين للإسلام

ينقضي رمضان وكأن المسلمين لم ينالهم إيلام مما يُكال لهم من طعنات من أعداء الإسلام والمسلمين، ويبدو أن مشاكل الإسلام والمسلمين وقضاياهم قد انتهت وانمحت، ولم يعد هناك شيء يعكر صفو المسلمين، ويبدو أن التحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين من الغرب ومن الشرق من أعدائه ومن المنافقين قد اندثرت، ولم يتبق إلا مسألة واحدة ربما تكون لها أبعاد خطيرة على مستقبل الإسلام والمسلمين... وهذه القضية تؤرق فضيلة المفتي علي جمعة، وتسرق النوم من عينيه، وتشغل عقله وقلبه.. إنها قضية استحمام المرأة باللبن.. هل هو حلال أم حرام!

ويقول فضيلة المفتي: إن الاستحمام باللبن قد يتحقق منه فائدة العلاج أو التجميل، فإذا كان للعلاج فلا لوم على من سعى في تحصيله، وإن كان للتجميل كأن يستخدم في أحواض الاستحمام، فهو سببٌ لإكساب الجلد طراوة ونعومة وحيوية، مما يجعله أكثر مقاومة لظهور التجاعيد والانكماشات في جسد المرأة!! لك الله يا أمة الإسلام، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

العيد على الأبواب

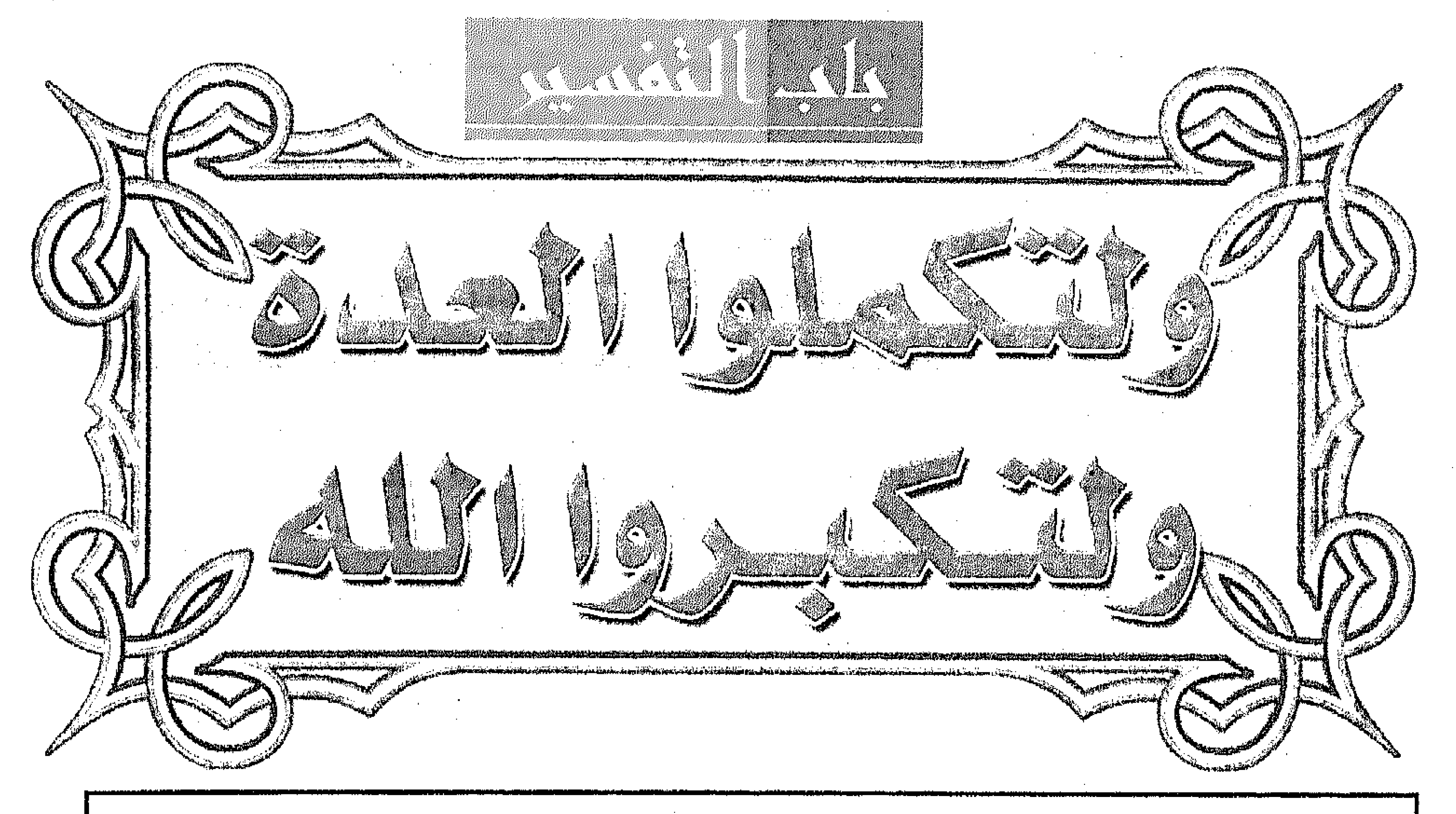
ها هو رمضان قد انقضت أيامه، وقوضت خيامه، وقد ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، فطوبى للرابحين وهنيئًا لهم وهم يحتفلون بالعيد، وحق لأهل الإسلام أن يفرحوا بعيدهم فلهم في ذلك فرحتان: فرحة الفطر وامتثال الأمر، وفرحة الأمل بحسن الجزاء وعظيم الأجر. ومع كل هذا الفرح الذي يغمرهم فهم لا ينسون بالدعاء إخوة لهم على درب الجهاد أن يؤيدهم بنصره ويطهر أرضهم من عدوهم، ويمكن لهم في الأرض، تقبل الله طاعتكم وحسن أعمالكم، وقبل صيامكم وقيامكم وصدقاتكم ودعاءكم، وضاعف حسناتكم، وجعل عيدكم مباركًا، وأيامكم أيام هناء وسعادة.

والعيد المبارك لمن عمر الله قلبه بالهدى والتقى ومتعه بخُلق كريم وقلب سليم.

وفي الختام نتقدم بخالص التهنئة بمناسبة عيد الفطر المبارك إلى العالم الإسلامي، شعوبًا وقادة، وندعو الله العلي الكريم أن يعيده علينا باليمن والبركات، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، ويخذل أعداء الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





قال تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

لمَّا ذكر اللهُ تعالى أحكامَ الصيام وفِقْهَه، وعَزائِمَه ورُخَصَه، أمر عبادَه إذا أكملوا عِدَّةَ الشَّهرِ وأتمُّوا صيامَه أن يكبِّروه شُكراً على ما هداهم إليه من الصيام وغيره من الطاعات، وكذلك أمرهم إذا قَضَوا مَناسِكَهم فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

[البقرة: ١٩٨-٢٠٠]،

وقال في الهَدْيِ: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧]، وهكذا أمر اللهُ تعالى مَنْ هدى مِنْ عِباده أن يشكروه على ما هداهم، لأنَّه أعطاهم ما لم يُعْطِ غيرَهم، وفضَّلهم واختصهم، كما قال تعالى: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥]. والمراد بهذه الهداية التي أمر اللهُ المهتدين بشكرها هدايةُ التَّوفيق التي معناها خَلْقُ قُدْرةِ الطاعة، لأنَّ الهداية أنواع:

هدايةٌ عامة: وهي هدايةُ المخلوقات كُلِّها لما هي ميسَّرةٌ له كما قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ٣].

وهداية البيان والدلالة والإرشاد

والمراد بها دلالةُ الإنسان على طريق الخير والشر، وتعريفُه الحقَّ والباطل، والهُدى والضَّلال، والغيَّ والرَّشاد كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾.

[البلد: ١٠]،

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، ولهذه الهداية بعث اللهُ الرُّسلَ وأنزل الكُتُبَ فقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧]، وقال في حقِّ الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾

[الأنبياء: ٧٣]،



إعداد / د. عبد العظيم بدوي

وقال في حقِّ القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال في حقِّ التوراة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لأولِي الأَلْبَابِ﴾ [غافر: ٥٣- ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال في حقِّ الإنجيل:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَءَاتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

والنوع الثالث هداية التوفيق

وهو خَلْقُ قُدرةِ الطَّاعةِ والإعانةُ على الاستجابة وهذه هداية خاصة

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦] وهذه الهداية لا يملكها إلاَّ اللهُ وحده ولذلك كانت من دلائل الألوهية كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وقال الخليل إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، وأمر خليله محمداً ﷺ أن يُقيم الحُجَّة على المشركين بقوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]

فالتَّوفيقُ للطَّاعة والإعانةُ عليها لا يملكه إلاَّ اللهُ ولذلك قال الله تعالى لنبيِّه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، مع أنَّ الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فَعُلِمَ أنَّ الهداية الثانية المثبتة غيرُ الهداية المنفيَّة عنه، فالمثبتةُ هي هدايةُ البيان والدلالة والإرشاد التي تتمُّ عن طريق الدَّعوة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، أما التوفيق لقبول الدعوة والانتفاع بهدايتها فذلك للهِ وحده دون غيره، ولذلك أمرهم أن يستهدوه فقال في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»(١).

والإنسانُ محتاجٌ إلى الهداية أشدَّ من حاجته إلى الطعام والشراب، لأنَّه لو فقد الطعام والشراب فمات وكان من المهتدين دخل جنَّاتِ النعيم ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد: ١٥]، أمَّا إذا فقد الهدايةَ فقد شَقِيَ في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤].

ومعنى ذلك أنَّ الهداية إلى الحقِّ والرُّشاد خيرٌ من الدنيا وما فيها، فمن هُدي إلى صراط الله المستقيم فقد أُوتي خيراً كثيراً ووجب عليه أن يفرح بما أُوتي كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨].

«وقد تنوَّعت عباراتُ السَّلف في تفسير الفضل والرحمة والصحيحُ أنَّهما الهُدى والنعمة، فَضْلُه هداه ورحمتُه نعمتُه»(٢) ووجب على من هُدي إلى صراط مستقيم أن يشكر الهادي كما أمر سبحانه، فإنَّ الشكر من موجبات الزيادة كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد اختلفت عباراتُ العلماء في معنى الشُّكر، وخُلاصة القول:

أنَّ الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، فأمَّا الشُّكرُ بالقلب فهو الاعتقادُ والاعتراف، والمحبَّة والانقياد والخضوع، بمعنى أن يكون القلبُ معتقداً ومعترفاً بأنَّ ما بالعبد من نعمة فمن الله وحده لا شريك له، لذلك يُحِبُّ المُنْعِمَ مَحبَّةً تستلزم الخضوعَ والانقيادَ والتسليمَ لأمره.

وأمَّا شكر اللسان فيكون بالاعتراف بالنعم والتَّحدُّثِ بها والثناءِ على الله من أجلها، كما قال

تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وقال ﷺ: «التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر»(٢)، وأن يكثر العبد من قول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وأمّا الشكر بالجوارح فهو: أن يُسَخِّرَها في طاعة الله وينهاها عن معصيته فيكون نظرُه في آيات الله المنظورة والمقروءة، وسَمْعُهُ لآيات الله المسطورة والمكتوبة، ويدُه في الخير ممدودةٌ وعن الشَّرِّ مقصورة، ورجْلُه إلى الخير تسعى وهكذا، وعلى العبد أن يستعين بالله على شكره، كما أثنى الله تعالى بذلك على سليمان فقال: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، وقال عن الإنسان: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٣).

وقد جرتْ سُنَّةُ اللهِ تعالى بجعل قَبُول هدايةِ الأنبياء سبباً لهداية التوفيق فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩]،

فلمَّا سمعوا دعوةَ الرسول إلى الإيمان فآمنوا هداهم اللهُ ووفَّقهم وشرح صدورَهم للإسلام وحبَّب إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم وكرَّه إليهم الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصيان وجعلهم من الراشدين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وأمَّا الذين سمعوا الهدى وصَمُّوا آذانهم وعاندوا واستكبروا فإنَّ الله يُعاقبُهم بالحرمان من الانتفاع بما سَمِعُوا من الهدى قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ كُلَّكُمْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ فَيَعْمِدُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُصَلِّي فِيهِ فَمَا يَخْطُو خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»(٤).

فيا أيها الرَّاغبُ في الهداية الحريصُ عليها احرص على السُّنَّةِ واستمسك بها، فكلما فعلت سُنَّةً ازددت هدى، وكلما ازددتَ اتِّباعاً ازددت هدى، وعلى قدر ما تتركُ من السُّنَّة تنقص هدايتك، فأهْدَى الناس سبيلاً هم أتباعُ النبي ﷺ المستمسكون بُسُنَّته، وأضلُّ الناس سبيلاً هم أهلُ الأهواء والبدع قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فمن قامت عليه الحُجَّةُ بهداية البيان والدلالةِ والإرشاد فآمن زاده اللهُ هدى، ومن بلغته الدعوةُ فعاند أضلَّه الله وختم على قلبه كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦)وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣٣-١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، و قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

[محمد: ١٦]،

ولذلك قال مؤمنو الجن بعد أن هداهم الله: ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

فمن أجاب محمداً ﷺ فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضلّ وغوى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾

[الأحقاف: ٣١، ٣٢].

كما جرت سُنَّتُه تعالى بجعل أعمال البرِّ سبباً للهداية وجَعْلِ أعمال الفُجور سبباً للضلالة قال تعالى:﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، وقال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

فيا أيها الرَّاغبُ في النَّجاة الحريصُ على الهداية جاهد نفسك على فعل الخير وأعمال البِّر التي جعلها اللهُ سبباً للهداية فإنَّ الله تعالى قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، واعلم أنَّ الله غنيٌّ عن العالمين ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

[التغابن: ٥، ٦].

وَفِرَّ إلى الله تعالى بالدُّعاء وألِحَّ عليه في السؤال: «اللهم اهدني فيمن هديت»(٥)، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»(٢)، فإنَّه من استهدى اللهَ هداه، واعلم أنَّ حاجتك إلى الهداية شديدةٌ وما لم يحصل لك منها أضعافُ أضعافِ ما حَصَّلتَ فأنت بحاجة دائماً إلى سؤال الله الهداية، ولذلك فرض اللهُ على من هداهم للصلاة أن يسألوه في كل ركعة الهدى وعلَّمهم أن يقرءوا في الفاتحة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، و ليس المرادُ ثَبِّتْنا ولكنه اهدنا لما لم نهتد إليه بعد، فإنَّ درجات الهداية متباينة، وكلما انتهى الإنسانُ إلى درجةٍ كانت فوقها درجات.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- م(٤/١٩٩٤/٢٥٧٧).

١- الفوائد لابن القيم (١٣٣).

٢- حسن :[ص.ج:٣٠١١] .

١- صحيح: [ص.ج:٧٨٤٦]، حم(٤/٥٤/٧٧٤)، د(٤/٣٨٤/١٥٠٨)، ن(٣/٥٣).

١- م(٦٥٤-٢٥٧-/١/٤٥٣)، د(٢/٢٥٤/٥٤٦)، جه(١/٢٥٥/٧٧٧)، ن(٢/١٠٨).

١- صحيح: [ص.د:١٢٦٣]، د(٤/٣٠٠/١٤١٢)،ت(١/٢٨٩/٤٦٣)،ن(٣/٢٤٨)، جه(١/٣٧٢/١١٧٨).

٣- م(٤/٢٠٨٧/٢٧٢١)، ت(٥/١٨٤/٣٥٥٥).

من البيوع المنهي عنها

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمده تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأصلي وأسلم على خير خلقه وخاتم أنبيائه، وإمام رسله نبينا محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

هناك بيوع نهى الشارع عنها، من هذه البيوع:

١- بيع الإنسان ما ليس عنده:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يأتيني الرجل يسألني من البيع ما ليس عندي، أبتاع له من السوق ثم أبيعه ؟ قال ﷺ: «لا تبع ما ليس عندك».

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة، وحسنه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٠٦).

أخرجه الإمام أحمد بالأرقام (٣/٤٠٢: ١٥٣١١، ١٥٣١٢، ١٥٣١٣، ١٥٣١٥)، وأبو داود برقم (٣٥٠٣)، والترمذي برقم (١٢٣٢)، والنسائي برقم (٤٦١٧)، وابن ماجه برقم (٢١٨٧).

إعداد/ زكريا حسيني

أولاً: شرح الحديث

قوله: «يسألني من البيع ما ليس عندي»: قال السندي في تعليقه على سنن النسائي: أي يسألني من المبيع، فالبيع بمعنى المبيع، كالصيد بمعنى المصيد.

وقوله: «أبتاع له من السوق؟» بتقدير همزة الاستفهام ؛ أي أأبتاع له من السوق؟ بمعنى أأشتري له من السوق. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: ومقصود السائل: أنه هل يبيع ما ليس عنده ثم يشتريه من السوق، ثم يسلمه للمشتري الذي اشترى له.

وقوله: «قال: لا تبع ما ليس عندك». أي شيئًا ليس في ملكك حال العقد.

قال البغوي في شرح السنة: قال الإمام: هذا في بيوع الأعيان دون بيوع الصفات. والمقصود ببيوع الصفات بيع السَّلَم، وهو مستثنى من بيع ما لا يملك الإنسان.

ثانيا: حديث آخر في نفس المعنى

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل سلفٌ وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا ربحُ ما لم يَضْمَن، ولا بيع ما ليس عندك». أخرجه الإمام أحمد بأرقام (١٧٥/٢، ١٧٩، ٢٠٥: ٦٦٢٨، ٦٦٧١، ٦٩١٨)، والترمذي، وصححه وأخرجه ابن ماجه مختصرًا.

ومعنى: «لا يحل سلف وبيع» السلف يطلق على السَّلَم وعلى القرض، والمراد به هنا شرط القارض، كأن يقول: بعتك هذا الثوب بعشرة على أن تقرضني عشرين، أو نحوها، وقيل: صورته: أن يقرضه قرضًا ويبيع منه شيئًا بأكثر من قيمته فإنه حرام لأن قرضه رَوَّجَ سِلْعَتَهُ، وقيل غير ذلك.

ومعنى قوله: «ولا شرطان في بيع» فسره الإمام أحمد بأن يقول: أبيعك هذا الثوب وعليَّ حياكته وقصارته، فإن قال: عليَّ حياكته جاز، وإن قال وعليَّ قصارته جاز. وفسره غيره بالبيعتين في بيعة. وقد فسر البيعتين في بيعة الإمام الشافعي: بأن يقول: أبيعك داري هذه بكذا على أن تبيعني غلامك بكذا. وفسره الترمذي بأن يقول: أبيعك هذا الثوب بنقد بعشرة ,وبنسيئة بعشرين، ولا يفارقه على أحد البيعين، فإذا فارقه على أحدهما فلا باس، ومعنى قوله: «ولا ربح ما لم يضمن». يريد به الربح الحاصل من بيع ما اشتراه قبل أن يقبضه. وأما قوله: «ولا تبع ما ليس عندك» فقد سبق شرحه.

٢- بيع ما لم يقبضه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أما الذي نهى عنه رسول الله ﷺ فهو الطعام أن يباع حتى يقبض، قال ابن عباس: ولا أحسب كل شيء إلا مثله.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يقبضه ويستوفيه».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يقول: «إذا ابتعت طعامًا فلا تبعه حتى تستوفيه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اشترى طعامًا فلا يبعه حتى يكتاله». وفي رواية: «حتى يُسْتَوْفَى».

أما حديث ابن عباس فأخرجه البخاري في موضعين من صحيحه ؛ الأول برقم (٢١٣٢)، والثاني برقم (٢١٣٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٢٥)، وأبو داود برقمي (٣٤٩٦، ٣٤٩٧)، والترمذي برقم (١٢٩١)، والنسائي بأرقام (٤٦٠١- ٤٦٠٢- ٤٦٠٣ - ٤٦٠٤)، وابن ماجه برقم (٢٢٢٧)، والإمام أحمد في المسند بأرقام ٣٥٦/١، ٣٦٨، ٣٦٩، وأما حديث ابن عمر فأخرجه البخاري بأرقام (٢١٢٤- ٢١٢٦ - ٢١٣٣ - ٢١٣٦)، ومسلم برقم (١٥٢٦)، وأبو داود بالأرقام (٣٤٩٢، ٣٤٩٣، ٣٤٩٤، ٣٤٩٥، ٣٤٩٨)، والنسائي بأرقام (٤٥٩٩ - ٤٦٠٠ - ٤٦٠١)، وابن ماجه برقم (٢٢٢٦)، والإمام أحمد بأرقام (٤٦/٢ - ٥٩ - ٧٣ - ١٠٨ - ١١١)، وأما حديث جابر بن عبد الله فأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٢٩).

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٢٨)، والإمام أحمد برقم (٣٣٧/٢).

شرح الأحاديث

ترجم الإمام البخاري لحديثي ابن عباس وابن عمر: «باب بيع الطعام قبل أن يقبض وبيع ما ليس عندك». وقال الحافظ في الفتح: لم يُذْكَرْ في حديثي الباب بيع ما ليس عندك وكأنه لم يثبت على شرطه فاستنبطه من النهي عن البيع قبل القبض، ووجه الاستدلال منه بطريق الأولى، وحديث النهي عن بيع ما ليس عندك أخرجه أصحاب السنن من حديث حكيم بن حزام بلفظ: قلت: يا رسول الله، ياتيني الرجل فيسالني البيع ليس عندي، أبيعه منه ثم ابتاعه له من السوق ؟ فقال: «لا تبع ما ليس عندك». قال ابن المنذر: وبيع ما ليس عندك يحتمل معنيين ؛ أحدهما أن يقول: أبيعك عبدًا أو دارًا معينة وهي غائبة، فيشبه بيع الغرر ؛ لاحتمال أن تتلف أو لا يرضاها، ثانيهما أن يقول: هذه الدار بكذا على أن أشتريها لك من صاحبها، أو على أن يسلمها لك صاحبها. اهـ.

قال الحافظ: وقصة حكيم موافقة للاحتمال الثاني.

وأما الإمام مسلم فترجمةُ صحيحِهِ لهذه الأحاديث الأربعة: «باب بطلان بيع المبيع قبل القبض».

أخذ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الحديثين فقال: قوله عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أما الذي نهى عنه».. إلخ، أي: وأما الذي لم أحفظ نهيه فما سوى ذلك.

وقوله: «فهو الطعام أن يباع حتى يُقْبَضَ». وفي رواية مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يقبضه».

قوله: «قال ابن عباس لا أحسب كل شيء إلا مثله»، ولمسلم من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه: «وأحسب كل شيء بمنزلة الطعام». وهذا من تفقه ابن عباس، ثم قال الحافظ: وقول طاوس في الباب قبله: «قلت لابن عباس: كيف ذاك ؟ قال: ذاك دارهم بدارهم والطعام مُرْجأٌ. معناه أنه استفهم عن سبب هذا النهي، فأجابه ابن عباس بأنه إذا باعه المشتري قبل القبض وتأخر المبيع في يد البائع فكأنه باعه دراهم بدراهم. ويبين ذلك ما وقع في رواية سفيان عن ابن طاوس عند مسلم: قال طاووس: قلت لابن عباس: لم ؟ قال: ألا تراهم يتبايعون بالذهب والطعام مُرْجَأٌ» أي: فإذا اشترى طعامًا بمائة دينار مثلاً ودفعها للبائع ولم يقبض منه الطعام، ثم باع الطعام لآخر بمائة وعشرين دينارًا وقبضها، والطعام في يد البائع فكأنه باع مائة دينار بمائة وعشرين دينارًا. وعلى هذا التفسير لا يختص النهي بالطعام، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا أحسب كل شيء إلا مثله». ويؤيده حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم». أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان. ثم نقل عن القرطبي قوله: وقد أخذ بظاهر هذه الأحاديث مالك فحمل الطعام على عمومه، وألحق بالشراء جميع المعاوضات، وألحق الشافعي وسحنون وابن حبيب بالطعام كل ما فيه حق توفية، وزاد أبو حنيفة والشافعي فعدياه إلى كل مُشْتَرًى، إلا أن أبا حنيفة استثنى العقار وما لا ينقل، واحتج الشافعي بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ربح ما لم يضمن». أخرجه الترمذي. قال الحافظ: قلت: وفي معناه حديث حكيم بن حزام المذكور في صدر الترجمة.

قال: وفي صفة القبض عند الشافعي تفصيل: فما يتناول باليد كالدراهم والدنانير والثوب فقبضه بالتناول، وما لا ينقل كالعقار والثمر على الشجر فقبضه بالتخلية، وما ينقل عادة كالأخشاب والحبوب والحيوان فقبضه بالنقل إلى مكان لا اختصاص للبائع به.

تفصيل المذاهب في ما لم يقبض

جاء في «الموسوعة الفقهية» ما ملخصه:

١- مذهب الشافعية، وهو قول أبي يوسف الأول، وقول محمد، وهو أيضًا رواية عن الإمام أحمد أنه لا يصح بيع المبيع قبل قبضه، سواء أكان منقولاً أم عقارًا، وإن أذن البائع وقبض الثمن، وذلك لحديث حكيم بن حزام وحديث عبد الله بن عمرو وحديث زيد بن ثابت المتقدم ذكرها. وعلل الشافعية النهي عن البيع قبل القبض بضعف الملك قبل القبض ولانفساخ العقد بتلفه.

وعلل الحنابلة بأنه لم يتم الملك عليه فلم يجز بيعه كما لو كان غير متعين.

٢- مذهب الحنفية أنه لا يصح بيع المنقول قبل قبضه، ولا يفرق الحنفية في ذلك بين الطعام وغيره من المنقولات، وذلك لقول ابن عباس - كما تقدم - ولا أحسب كل شيء إلا مثله، أي مثل الطعام، ويعضد قول ابن عباس رضي الله عنهما ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ابتعت زيتًا في السوق فلما استوجبته لقيني رجل فأعطاني فيه ربحًا حسنًا، فأردت أن أضرب على يده (أي أقبل إيجابه وأتفق على العقد)، فأخذ رجل من خلفي بذراعي، فالتفتُّ فإذا زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال: لا تبعه حيث ابتعته حتى تحوزه إلى رحلك، فإن رسول الله ﷺ نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار

إلى رحالهم».

وأجاز الشيخان- أبو حنيفة وأبو يوسف - بيع العقار قبل قبضه استحسانًا.

٣- مذهب المالكية أن المُحَرَّمَ المُفْسِدَ للبيع هو بيع الطعام دون غيره من جميع الأشياء قبل قبضه سواءٌ أكان الطعام ربويًا كالقمح أم غير ربوي كالتفاح عندهم، وذلك أخذًا بظاهر حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، ولغلبة تغير الطعام دون سواه، ولكن مالكًا اشترط شرطين لفساد هذا النوع من البيع:

أ- أن يكون الطعام مأخوذًا بطريق المعاوضة أي في مقابلة شيء بخلاف ما كان هبة أو ميراثًا.

ب- أن تكون المعاوضة بالكيل أو الوزن أو العدد.

٤- مذهب الحنابلة فيه روايات متعددة في الممنوع بيعه قبل قبضه. سبق بعضها وهي ما وافق مذهب الشافعية، وفي رواية أخرى قصر المنع على الطعام كمذهب المالكية لكن على تعميم المنع لبيع الطعام بلا شرطٍ خلافًا لمالك الذي اشترط شرطين لمنع بيع الطعام. وفي رواية ثالثة أن ما كان متعينًا - كالصبرة تباع من غير كيل - يجوز بيعها قبل قبضها، وما ليس بمتعين - كقفيز من صُبْرَةٍ، أو رطل من زُبْرَةِ حديدٍ - فإنه لا يجوز بيعها حتى تكال أو توزن. ففي هذه الرواية توسع بالزيادة على الطعام. اهـ. باختصار.

قال ابن عبد البر: على هذا سائر الفقهاء بالعراق والحجاز، وهو قول مالك، لو كانت السلعة طعامًا لم يختلف قوله في ذلك ؛ لأنه باع طعامًا ليس عنده قبل أن يستوفيه، وكأنه حمل نهيه ﷺ عن ربح ما لم يَضْمَنْ، وبيع ما ليس عندك على الطعام بتعين، وشك في غير الطعام. والله أعلم.

وحمله عشرةٌ من العلماء على العموم في بيع ما ليس عند البائع، وهو الأحوط، وبالله التوفيق.

أقول: وعلى ذلك فإن بعض من يملكون مالاً يذهب بعض الناس ويقول لأحدهم بعْ لي سلعة كذا - ثلاجة أو سيارة أو غير ذلك - مما ليس عنده فيبيعه، ويعقد معه الصفقة ويتمها بالتقسيط، ثم يذهب معه لشرائها من التاجر، ويسلمها له، فيكون بذلك باع نقودًا بنقود - كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما مع الزيادة، وهذا هو الربا بعينه، أو أنه بعد ما يتم الصفقة معه يدفع له ثمن السلعة ويقول له: اذهب واشترها من التاجر الفلاني. فيكون قد أعطى من أراد السلعة نقودًا واستردها نقودًا بالزيادة، وهذا هو الربا. وقد مضى قول الفقهاء أن هذا نوع تحايل على أكل الربا.

وللخروج من هذه المخالفات ؛ يمكن لمن يبيع هذا النوع من البيع: أولاً ألا يعقد الصفقة مع المشتري قبل أن يشتري السلعة (ليخرج من بيع ما ليس عنده ومن ربح ما لم يضمن).

وثانيًا: يشتري السلعة من التاجر أو المصنع أو غيرها ويحوزها في ملكه، ثم يبيعها بعد ذلك بشروط البيع التي منها حرية المشتري في أن يقبل شراءها أو يعدل عن الشراء، فيخرج بذلك من النهي عن بيع ما لم يقبض.

فإذا توفر هذان الأمران: عدم إتمام البيع قبل شراء السلعة، ثم نقل السلعة إلى حوزته فإن البيع حينئذ يكون صحيحًا لا مخالفة فيه إن شاء الله.

والتزام أوامر الشرع ونواهيه فيه مصلحة العباد والبلاد.

ولقد رأينا حرص الصحابة على النصح وعلى التناصح فيما بينهم، وعلى تعليم الأمة أمر دينها والتزامهم شرع الله التماسًا لبركة الله تعالى، وحرصًا على طيب الكسب وعدم أخذه إلا من حله، والابتعاد عن كل ما نهى عنه الشرع، وهذا من نصر دين الله، فإن الأمة إذا نصرت الله نصرها، وإن أعرضت عن شرع الله فليس لها إلا المعيشة الضنك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

نسأل الله أن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً، وأن يهيء لهم من أمرهم رشدًا، وأن يخرج الأمة من ظلمات المعاصي والجهل إلى نور الطاعة والعلم والعمل بالشرع، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

النقض العقلي لعقيدة الشيعة

يحرص كثير من علماء آخر الزمان على نفي وجود خلاف بين السُّنَّة وبين الشيعة، ويستند بعضهم على فتوى الشيخ شلتوت التي يقول فيها يجوز التعبد على مذهب الإمامية الجعفرية، وشتان بين منطوق الفتوى المحدد بالعبادة، وبين حقيقة الخلاف بين السنة والشيعة في العقيدة، وهذا تدليس متعمد لا يليق بمقام العلماء، والمقام لا يسعنا لأن نبين مفردات هذا الاختلاف العقدي العريض والعميق، فمن السهل مجادلة أهل الكتاب، ومن الصعب جدا مجادلة الشيعة، فهم لا يقبلون أحاديثنا بتكفيرهم للصحابة، ونحن لا نقبل مئات آلاف من الأحاديث التي وضعها غلاة الشيعة في شأن الأئمة، كما أن عندهم مبدأ التقية، الذي يسمح لهم بتعمد الكذب بل وموافقة الخصم عند الاختلاف، ومن أراد أن يفهم طبيعة الخلاف فليقرأ كتابنا عن جذور الشيعة وجيش المهدي، وهو من أهم الكتب التي تبين عقيدة الشيعة، وفي نفس الوقت يظهر حقيقة ما يدور على أرض الرافدين، ولنتناول بصورة مجملة عقيدة الإمامية حول الإمامة الذي هو الركن السادس في عقيدة القوم.

إعداد/ د. محمود المراكبي

يؤمن الشيعة الإمامية الإثنا عشرية بأن هذه الرسالة جاء بها نبي، ولابد له من وصي يسمونه الإمام عندهم، وأن هذا الوصي لابد له من تنصيب إلهي، لأن له دورًا أساسيًا في فهم الدين وإبلاغه للعالمين، وهم يُعَرِّفون الإمامة بقولهم: «هي الزعامة في أمور الدين والدنيا، وهي نيابة عن الرسول ﷺ في حفظ شريعته من الزيادة والنقيصة، وإقامة الحدود، ودرء الفساد، وهي واجبة بعد النبي ﷺ؛ لئلا يضيع أمر الدين»، ويحدد علماء الشيعة مفهوم الإمامة بقولهم: «الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه». (الشيعة في عقائدهم وأحكامهم: للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني ٤٢).

وأن رسول الله ﷺ بلغ أمته بإمامة علي بن أبي طالب، وأخذ عليهم العهد والميثاق على مبايعة على قبل موته بشهرين تقريبًا، وبالتحديد يوم ١٨ ذي الحجة عام ١٠ من الهجرة، بعد حجة الوداع وأثناء عودته إلى المدينة عند غدير خم، إلا أن الشيخين أبا بكر وعمر قاما بمؤامرة لمنع علي من الخلافة، وأن الصحابة ارتدوا جميعًا عن الإسلام ما عدا ثلاثة فقط، وأن الصحابة نكثوا عهدهم مع النبي حين بايعوا أبا بكر في سقيفة بني ساعدة، وأن أبا بكر وعمر قاما بحذف آيات وسور كاملة من القرآن الكريم لأنها تحض على الإمامة وتعدد فضائلها، حتى أن القرآن الذي نزل من السماء كان يبلغ سبعة عشر ألف آية، ولم يبق منه إلا قرابة الثلث فقط أي ما يزيد قليلا عن ستة آلاف آية هي جملة آيات المصحف المعروف بمصحف عثمان.

ويمكن بسهولة نقض هذه المعتقدات بصورة حاسمة كالتالي:

إن القول بهذه المؤامرة إساءة إلى الله عز وجل، وإساءة إلى رسول الله ﷺ، كما أنها تسيء إلى علي بن أبي طالب إساءة بالغة، ونتبين ذلك فيما يلي:

▭ أولاً: إساءة الشيعة في حق الله تعالى ▭

ليس من المعقول أن يسمح الحق تبارك وتعالى لأحد أن يفسد ترتيبه لرسالته الخاتمة، وكيف يتأتى أن يمنع نبي أرسله الله من إبلاغ رسالته لقومه، وعلى نفس المستوى لا يعقل أن يحجب إمام عن القيام بمهمة بيان الدين وتوضيح مراميه وأهدافه، وأن تظل الرسالة الخاتمة محرومة من مهمة الإمام منذ وفاة النبي وحتى دخول المهدي إلى السرداب والذي ينتظر أتباعه خروجه إلى اليوم، وما ذنب أجيال الإسلام المتتالية طوال أربعة عشر قرنًا حتى يحجب عنها المتمم لهذا الدين، وكيف تقوم لله حجة على المسلمين يوم القيامة والإمام غائب عنها؟ وإذا كان القرآن الكريم يقول للنبي ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فكيف لا تمتد العصمة للإمام والذي دوره أهم من دور النبي ﷺ، حتى يكتمل وحي الله إلى رسوله؟ قد يقبل العقل حدوث ذلك مع أي نبي من الأنبياء ومع أي قوم من الأقوام، أما حدوث ذلك الأمر في الرسالة الخاتمة فيستحيل عقلاً أن تظل رسالة الإسلام التي تحيا بين الناس وحتى قيام الساعة وهي ناقصة. وإذا كان أبو بكر وعمر حرما عليًا من النص الإلهي له بالإمامة، فتلك أكبر إساءة لله عز وجل، فكيف يكون النص الإلهي مع علي، ويمنعه من القيام بمهمته أبو بكر وعمر؟ أيستطيع بشر أن يوقف مشيئة الله وإرادته خاصة فيما يتعلق بالرسالة الخاتمة؟ ولماذا مكّن الله لنبيه حتى بلّغ الرسالة، وتخلى عن وصيه المكلف ببيانها؟ ثم كيف يقرب الله تبارك وتعالى أبا بكر وعمر من النبي ﷺ وفي علمه أنهما سيعطلان وظيفة الإمام؟ وإذا كانت الأمة قد عاشت أربعة عشر قرنًا من الزمان محرومة من وظيفة الإمام، فلا شك أنها وظيفة هامشية لا لزوم لها، لقد حمل أتباع هذا الدين رسالة نبيهم، وفتحوا بها الأمصار وسادوا الدنيا، ولم يوقف مسيرتهم أي أمر احتاج إلى مهمة من مهام الإمامة.

▭ ثانيا: إساءة الشيعة في حق النبي ﷺ ▭

أما إساءة الشيعة للنبي ﷺ فمن ناحيتين، الناحية الأولى كون مطلبهم يخالف سنة النبي ﷺ، فرغبة الشيعة أن يملك آل البيت الممالك تخالف هدي النبي ﷺ، الذى رفض أن يكون ملكًا نبيًا، واختار أن يكون عبدًا رسولاً، وكان دائمًا يقول: «ما لي وللدنيا»، والقارئ لسيرة النبي ﷺ يرى بوضوح أن الدنيا لم تشغله طرفة عين، فمن أين جاءت رغبة آل البيت بحسب زعم الشيعة في الحكم وإدارة شئون الدنيا.

إن الأنصار بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته وحمايته، وقد قبلوا شرط النبي أن لهم عند الله الجنة، واشترط عليهم عدم منازعة الأمر أهله، فكيف يكون موقف الأنصار أرقى من موقف آل البيت، الأنصار لم يطلبوا يومًا الإمارة، ومشكلة الشيعة طلبهم الإمارة لآل البيت والخروج على الحاكم، وشاء الله ألا تنجح واحدة من تلك المحاولات عبر التاريخ.

▭ تزكية النبي ﷺ لتصرف الحسن رضي الله عنه ▭

وهناك لمحة نبوية لم ينتبه إليها كثير من الناس، فقد كان الحسن والحسين رضوان الله عليهما فرسي رهان، ولهما من المنزلة في عهد الصحابة ما لا يدركها إلا الدارس للسيرة النبوية المطهرة وتاريخ الخلفاء الراشدين، تلك اللمحة حين زكى فيها النبي ﷺ الحسن وقال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» ذلك الصلح الذي خلع فيه الحسن نفسه، واتبع هدي النبي ﷺ وتنازل عن الإمارة، وهو عكس ما فعله الحسين رضي الله عنه وحارب لتحقيقه أيا كانت أسبابه. فالنبي ﷺ لا يريد لآل بيته الدنيا، ولا الملك ولا الخلافة ولا السلطان، ولما عرضت عليه الدنيا رفضها بزخارفها، وحين خيّره جبريل بين أن يجعل له جبال مكة ذهبًا، قال: «بل أجوع يومًا فأصبر لله وأشبع يوما فأحمد الله». إن الشيعة تحرم أبناء الحسن من الإمامة وتحصرها في أبناء الحسين، لأن الحسن عندهم مسود وجوه المؤمنين يوم أصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين.

الناحية الثانية: اتهام النبي ﷺ بالتقصير في حق تولية علي من بعده

١- إنهم يقولون لك: إن النبي أبلغ الناس يوم غدير خم، ونحن نقول: أما كان الأجدر أن يعلن هذه الرغبة في تولية علي قبل ثمانية أيام فقط وهو يخطب يوم عرفة يوم الحج الأكبر، حتى ترسخ في عقول المسلمين ووجدانهم جميعًا، وهم مائة ألف صحابي الذين حجوا مع النبي ﷺ أن الخليفة علي بعد النبي ﷺ، وشتان بين بيان يعلن يوم الحج الأكبر، وبين آخر يعلن بين العائدين إلى المدينة من الحجاج، كأن الأمر لا يخص الأمة كلها، بل يخص أهل المدينة فقط.

٢- إذا قصّر النبي ﷺ في القيام بأي واجب من واجبات النبوة، يخاطبه ربه قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة]. فكيف يستساغ لذوي الألباب أن يظنوا أن النبي ﷺ قصّر في تثبيت الإمامة، ونحن نرى عبر الزمان الملوك والحكام يمهدون الحكم لأبنائهم من بعدهم، ولا يستطيع الرسول أن يمكّن لعلي؟

٣- يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب-٤٠].

شاء الله تبارك وتعالى أن يموت أبناء النبي الذكور في حياته، ولو كانت فكرة الإمامة مطلبًا إلهيًا، فلماذا يكون اللجوء إلى أبناء البنت، طالما الأبناء موجودون؟ أما كان أبناء النبي ﷺ الذكور أولى الناس بهذا التعيين الإلهي، تحقيقًا لفكرة الوصاية على الدين، وبالتالي تنتفي فكرة الوصاية؛ لأن مراد الله تعالى ومشيئته أن لا يعمر أبناء النبي ﷺ بعد وفاته، إن هذه الآية محكمة واضحة في أن الله لم يجعل أبناء النبي ملوكا من بعده، فكيف تزعم الشيعة أن أحفاده أبناء بنت النبي ﷺ هم الحكام من بعده.

٤- إن أكبر دليل على بطلان مزاعم الشيعة أن النبي ﷺ أمر أبا بكر بالصلاة أثناء مرضه، وكان يمكنه في فترات صحوه من مرض الموت أن يخطب الناس، ويعلن خلافة علي له، ويأمره أن يصلي بالناس، وما كان لأبي بكر ولا عمر أن يخالفوا أمره ﷺ في وضح النهار.

٥- وأدل من هذا الأمر، أن النبي ﷺ طلب أن يمرض في بيت عائشة، وبذلك مكّن لأبي بكر، فهو دائما مع النبي في بيت ابنته، ولو كان النبي ﷺ يريد أن يمكّن لعلي لطلب النبي ﷺ أن يمرض في بيت فاطمة، وكان البيتان متواجهين على خوخة تنتهي بباب في المسجد كان يخرج منه النبي ﷺ للصلاة.

٦- لقد خُيِّر رسول الله ﷺ بين أن يكون ملكًا نبيًا، أو عبدًا رسولاً، فاختار أن يكون عبدًا رسولاً، وهو بذلك يقدم الآخرة على الدنيا، ولو اختار أن يكون ملكًا نبيًا، لأصبح لورثته الحق في طلب الملك، أما طلب السلطان من ورثته، فيعد مخالفًا لاختياره ﷺ.

٧- يزعم الشيعة أن النبي ﷺ قد أوصى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهناك دليل دامغ على بطلان هذا الزعم، ولن نقول تكليفه لأبي بكر رضي الله عنه بإمامة المسلمين في مرضه الأخير، وإنما في اختياره للموضع الذي يموت فيه، فالنبي ﷺ لا يموت إلا بعد أن يخير، ولما نزلت سورة النصر أيقن النبي ﷺ بقرب الأجل، ولما دارس جبريل القرآن الكريم مرتين في شهر رمضان، أدرك قرب وفاته، قبل حدوثها بعد أربعة أشهر تقريبا، فلِم لم يختر- وعلى الملأ- أن يمرض في بيت فاطمة الزهراء ابنته وقرة عينه، ولو فعل ذلك لتولى بنو هاشم زمام الأمور كلها، ولزاره أصحابه في بيت فاطمة، ولسمعوا وصيته لعلي بن أبي طالب بين بني هاشم، ولاجتمع عندئذ بنو هاشم على قلب رجل واحد خلف علي، ولما تمكن الشيخان من اغتصاب الخلافة من الوصي.

ثالثا: إساءة الشيعة في حق علي

إن اتهام الشيعة لعلي أولا بالتقاعس عن المهمة الربانية التي كلفه الله بها، هو اتهام خطير، ثم بالخضوع والخنوع للمغتصب دون أن يجاهده في سبيل القيام بمهام الإمام، وهو الشجاع المقدام الجرار، صاحب السيف البتار.

والاتهام الثاني: أنه رضي بالدني وهو قبوله أن يجلس غيره في المجلس المعد له، لإقامة أمر الإمامة، فعاش ستة وعشرين سنة أو يزيد، وهو تارك لتكليف الله ورسوله له بالإمامة، ويدافع الشيعة أن عليًا كان يحرص على عدم إراقة الدماء، ولكنا نجد عليا قبل بالأمر الواقع، ورضي بأن يتنحى عن التكليف الرباني له، ولم يحاول تغيير هذا المنكر الشديد لا بيده ولا بلسانه، واكتفى بالإنكار بقلبه، وهذا أضعف الإيمان، وحتى الإنكار بقلبه لم يقم عليه دليل إلا فيما تزعمه الشيعة من مزاعم.

إن السير وراء اليهود في اعتقادهم بالوصي بعد النبي ﷺ، قد أوصل الشيعة إلى الإساءة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، وللإمام نفسه، كما أوضحنا سالفا، فماذا بعد الحق إلى الضلال المبين.



مشروع تيسير حفظ السنة

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد علي حشيش

١٣١٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الجُمُعَةِ، والإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ». م(٨٥١)، حم (٧٣٣٦)، (٧٦٩٠)، (١٠٣٠٤)، ت (٥١٢)، ن(١٤٠١)، حب (٢٧٩٣)، د(١١١٢).

١٣١٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمعةِ، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدخلَ الجنَّة، وفيه أُخْرِجَ مِنْهَا». م(٨٥٤)، حم(٩٢١٨)، ت(٤٨٨)، ن(١٣٧٢).

١٣١٧- عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عن الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِليهودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ للنَّصارى يومُ الأَحَدِ، فجاءَ اللهُ ربنَا، فَهَدَانَا لِيوم الجمعةِ، فَجَعَلَ الجُمعةَ والسَّبْتَ والأحَدَ وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ القِيَامةِ، نحنُ الآخِرُونَ مِن أهلِ الدُّنيا، والأَوَلُونَ يومَ القيامة المَقْضيُّ لَهم قَبْلَ الخَلائق». م(٨٥٦)، ن(١٣٦٧)، جه(١٠٨٣).

١٣١٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَن اغْتَسَلَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ الله لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلي مَعَهُ، غُفِرَ له مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمْعَة الأُخرى، وَفَضْلُ ثَلاثةِ أَيام».

م(٨٥٧)، حم(٩٤٨٩)، د(١٠٥٠)، ت(٤٩٨)، جه(١٠٩٠)، حب (٢٧٧٩).

١٣١٩- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ نَرْجِعُ فَنُرِيحُ نَوَاضِحَنَا». قال حسن- أي ابن عيَّاش-: قُلْتُ لجعفر: «في أي ساعة تلك؟» قال: زَوَالُ الشَّمْسِ.

م(٨٥٨)، حم(١٤٥٤٦)، ن(١٣٨٩) عن حسن بن عياش عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر.

١٣٢٠- عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه، قال: «كَانَتْ لِلنبيِّ ﷺ خُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُما، يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيُذَكِّرُ النَّاسَ». م(٨٦٢)، حم(٢٠٨٣٩)، (٢٠٨٤٤)، (٢٠٩٠٧)، (٢٠٩٨٢)، (٢١٠٠٨)، (٢١٠٢٧)، (٢١٠٨١)، (٢١٠٨٢)، د(١٠٩٣)، (١٠٩٤)، (١٠٩٥)، (١١٠١)، جه (١١٠٦)، حب(٢٨٠١).

١٣٢١- عن كَعْب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه أنه دَخَلَ المَسْجِدَ وعَبْدُ الرَّحْمن بن أم الحَكَمِ يَخْطُبُ قَاعِدًا فقال: «انْظُرُوا إلى هَذَا الخَبِيثِ يَخْطُبُ قَاعِدًا. وقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

م(٨٦٤)، ن(١٣٩٦)، ولم توجد كلمة «الخبيث» في رواية النسائي.

١٣٢٢- عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة أنَّهما سمِعَا رسولَ الله ﷺ يقولُ على أعوادِ مِنبرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ».

م(٨٦٥)، حم(٢١٣٢)، (٢٢٩٠)، (٣٠٩٩)، (٣١٠٠)، (٥٥٦٠)، ن(١٣٦٩)، جه(١٦٥٩)، حب (٢٧٨٥).

١٣٢٣- عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: كُنْتُ أُصلي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَتْ صَلاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا.

م(٨٦٦)، حم(٢٠٩٢٧)، (٢٠٤١)، (٢١٠٠٣)، (٢١٠٩١)، (٢١٠٩٤)، ت(٥٠٧)، ن(١٥٨١)، حب (٢٨٠٢).

١٣٢٤- عن عَمَّار رضي الله عنه قال: إنِّي سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ(١) مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطيلُوا الصَّلاةَ واقْصُرُوا الخُطْبَة، وإِنَّ مِنَ البَيَانِ لسِحْرًا».

م(٨٦٩)، حم (١٨٤٥)، حب (٢٧٩١)، والدارمي (١٥٥٦)، ورمز له (دي) كما في المعجم المفهرس.

١٣٢٥- عن عَدِيِّ بن حَاتم رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً خَطَبَ عِنْدَ النبيِّ ﷺ فقال: مَنْ يُطعِ اللهَ ورسُولَه فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «بِئْسَ الخَطِيبُ أَنْتَ. قُلْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ».

م(٨٧٠)، حم(١٩٣٩٩)، د(١٠٩٩)، ن(٣٢٧٩).

١٣٢٦- عن عَمْرة بنت عبد الرحمن عن أخت لعمرة قالت: «أخذت ﴿ق وَالْقُرْآنِ المَجِيدِ﴾ مِنْ فِي رسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الجُمعةِ وهُو يَقْرَأُ بها على المِنبرِ، في كُلِّ جُمُعة ». م(٨٧٢)، حم(٢٧٥٢٥)، (٢٧٥٢٦)، د(١١٠٠)، (١١٠٢)، (١١٠٣)، ن(٩٤٨).

١٣٢٧- عن بنت لحارثة بن النعمان قالت: «ما حفظت «ق» إلاَّ مِن فِي رسُولِ اللهِ ﷺ يَخْطُب بِهَا كلَّ جمعةً قالت: وَكَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رسول اللهِ ﷺ وَاحِدًا». م(٨٧٣).

١٣٢٨- عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: «لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رسول اللهِ ﷺ وَاحِدًا سَنَتَيْنِ أَو سَنَةً وبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ ﴿ق وَالْقُرْآنِ المَجِيدِ﴾ إلاَّ عن لِسَانِ رسُولِ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جمعةٍ على المِنْبرِ، إذا خَطَبَ النَّاسَ». م(٨٧٤)، حم(١٧٢١٩)، (١٧٢٢١)، (١٧٢٢٤)، د(١١٠٤)، ت(٥١٥).

فائدة هامة: أخرج الإمام مسلم الأحاديث الثلاثة ليكتمل المتن وتتبين الصحابية، ولذلك أورد الأحاديث الثلاثة الإمام المزي في «التحفة» ح(١٨٣٦٣) وقال: مسند أم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية عن النبي ﷺ وهي أخت عمرة بنت عبد الرحمن لأمِّها وهي أكبر من عمرة.

١٣٢٩- عن النعمان بن بشير قال: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ في العِيدَين وَفي الجُمُعَةِ بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، قال: وَإِذَا اجْتَمَعَ العيدُ والجُمعةُ في يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا في الصَّلاتَيْن.

م(٨٧٨)، مالك في «الموطا» في الجمعة (٢٤٧)، حم (١٨٤٠٩)، (١٨٤٥٨)، د(١١٢٢)، (١١٢٣)، ت(٥٣٣)، ن(١٤٢٢)، (١٤٢٣)، (١٥٦٧)، (١٥٨٩)، جه (١١١٩)، (١٢٨١)، حب(٢٨٠٧)، (٢٨٢١).

١٣٣٠- عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: «صَلَّيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ العِيدين غَيْرَ مَرَّةٍ وَلاَ مَرَّتَيْنِ، بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقامَةٍ». م(٨٨٧)، حم(٢٠٨٩١)، (٢٠٩٨٦)، د(١١٤٨)، ت(٥٣٢)، حب(٢٨١٩).

١٣٣١- عَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قال: «رأيتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ في الدُّعَاء حَتَّى يُرى بَيَاضُ إِبْطَيْه».
م(٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء، ن(١٧٤٧)، د(١١٧١).

١٣٣٢- عَن أنس رضي الله عنه قال: «أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ حَتَى أَصَابَهُ مِنَ المَطَرِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا ؟ قَالَ: «لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تعالى».
م(٨٩٨)، حم(١٢٣٦٨)، (١٣٨٢١)، د(٥١٠٠)، حب(٦١٣٥)، أبو يعلى (٣٤٢٦)، هق (٣/٣٥٩).

١٣٣٣- عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَقِّنُوا مَوْتَاكم: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ».
م(٩١٦)، حم (١٠٩٩٣)، د(٣١١٧)، ت(٩٧٦)، ن(١٨٢٥)، جه(١٤٤٥)، حب (٣٠٠٣).

١٣٣٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَوُا الإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ؟» قَالُوا: بَلَى. قال: فذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ». م(٩٢١).

١٣٣٥- عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبةٌ فيقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِليهِ رَاجِعونَ، اللَّهُمَّ أجُرْني في مُصِيبَتي، وَأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْهَا، إلاَّ أَخْلَفَ اللهُ لهُ خَيْرًا مِنْهَا».
م(٩١٨)، حم(١٦٣٤٣)، (٢٦٦٩٧).

١٣٣٦- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحَيِّ».
م(٩٣٠)، حم(٦١٨٢)، طب (١٣١٨٦)، هق (٤/٧٢).

١٣٣٧- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مَا مِن مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغونَ مِئَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إِلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ» . م(٩٤٧)، حم(٢٤٠٩٣)، (٢٤١٨٢)، (٢٤٧١١)، (٢٦٠٠٩)، ت(١٠٢٩)، ن(١٩٩٠)، (١٩٩١)، حب (٣٠٨١)، هق(٤/٣٠).

١٣٣٨- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخًا لَكُمْ قَدْ مَاتَ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ»، يَعني النَّجاشي.
م(٩٥٣)، حم(١٩٩١١)، (١٩٩٦١)، (١٩٩٦١)، (٢٠٠٢٥)، ت(١٠٣٩)، ن(١٩٤٥)، جه(١٥٣٥)، حب(٣١٠٢)، طب(١٨/٤٤٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٨٢).

١٣٣٩- عن أنس رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى قَبْرٍ. م(٩٥٥)، حم(١٢٣٢٠)، جه(١٥٣١)، حب (٣٠٨٤)، هق (٤/٤٦).

١٣٤٠- عن جابر بن سَمُرَةَ قال: «أُتيَ النبيُّ ﷺ بِفَرَسٍ مُعْرَوْرَى(٢)، فَرَكِبَهُ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ جَنَازَةِ ابْنِ الدَّحْدَاحِ. وَنَحْنُ نَمْشِي حَوْلَهُ». م(٩٦٥)، حم(٢٠٨٧٧)، (٢٠٩٤٧)، (٢٠٩٨٩)، (٢١٠٣١)، د(٣١٧٨)، ت(١٠١٣)، (١٠١٤)، ن(٢٠٢٥)، حب(٧١٥٧)، (٧١٥٨).

١٣٤١- عَن أبي الهَيَّاج الأَسدِي رضي الله عنه قال: قال لي عَليُّ بنُ أبي طَالب: أَلاَ أَبْعثُك علَى مَا بَعَثَني عليه رسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ. م(٩٦٩)، حم(٧٤١)، (١٠٦٤)، د(٣٢١٨)، ت(١٠٤٩)، ن(٢٠٣٠).

١٣٤٢- عن جابر رضي الله عنه قال: نَهى رسولُ اللهِ ﷺ أن يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْه، وَأَن يُبْنَى عليه. م(٩٧٠)، حم(١٤٥٧١)، (١٤١٥١)، (١٤١٥٢)، د(٣٢٢٥)، (٣٢٢٦)، ت(١٠٥٢)، ن(٢٠٢٦)، (٢٠٢٧)، جه (١٥٦٣)، حب (٣١٦٢)، (٣١٦٣)، (٣١٦٤)، (٣١٦٥).

١٣٤٣- عن أبي هُريرةَ رضِي اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إلى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ على قَبْرٍ».
م(٩٧١)، حم(٨١١٤)، (٩٠٥٨)، (٩٧٣٨)، د(٣٢٢٨)، ن(٢٠٤٣)، جه(١٥٦٦)، حب (٣١٦٦)، هق(٣) (٤/٧٩).

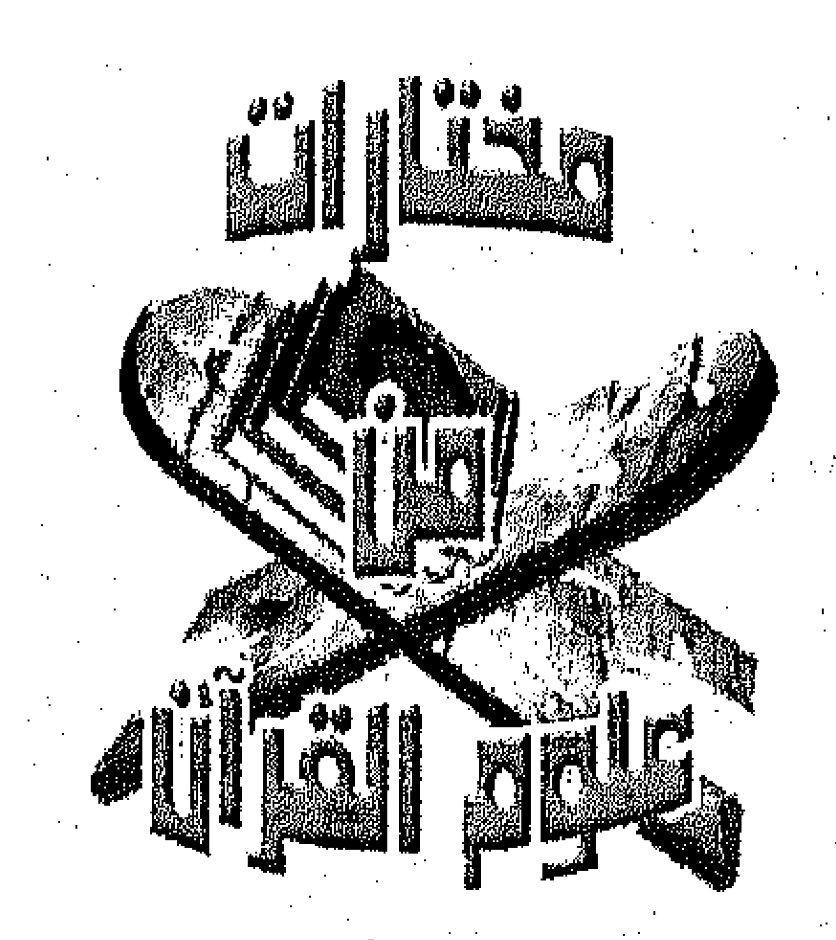
١٣٤٤- عَنْ أَبي مَرْثَدٍ الغَنَوي رضي الله عنه قَالَ: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَجْلِسُوا عَلَى القُبُورِ ولا تُصلُّوا إليها».
م(٩٧٢)، حم (١٧٢١٥)، (١٧٢١٦)، د(٣٢٢٩)، ت(١٠٥٠)، (١٠٥١)، ن(٧٥٩)، حب (٢٣٢٠)، (٢٣٢٤)، هق(٢/٤٣٥).

هوامش

١- مِئَة: أي علامة.

٢- مُعْرَوْرَى: معناه بفرس عري.

٣- هق: رمز البيهقي في «السنن».





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فما نزال نتحدث عن لطائف سورة آل عمران وفضائلها، ونتحدث هنا بعون الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»: قد تنوعت عبارات المفسرين في لفظ «شهد»، فقالت طائفة منهم مجاهد والفراء وأبو عبيدة: أي حكم وقضى. وقالت طائفة منهم ثعلب والزجاج: أي بَيَّنَ. وقالت طائفة: أي أَعْلَمَ. وكذلك قالت طائفة معنى شهادة الله الإخبار والإعلام. ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار.

وعن ابن عباس أنه شهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان، ولم يكن سماء ولا أرض، ولا بر ولا بحر، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾.

وكل هذه الأقوال وما في معناها صحيحة، وذلك أن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وقوله وخبره عما شهد به، وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك ويقوله ويذكره، وإن لم يكن معلمًا به غيره، ولا مخبرًا به سواه، فهذه أول مراتب الشهادة.

ثم قد يخبره ويعلم، فتكون الشهادة إعلامًا لغيره وإخبارًا له، ومن أخبر غيره بشيء فقد شهد به، سواء كان بلفظ الشهادة أو لم يكن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾.

فالشهادة هنا تضمنت مرتبتين:

إحداهما: تكلم الشاهد وقوله وذكره لما شهد في نفسه به.

والثاني: إخباره وإعلامه لغيره بما شهد به.

فمن قال: حكم وقضى فهذا من باب اللازم، فإن الحكم والقضاء هو إلزام وأمر، ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم، فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾، وقال: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾. وهذا كثير في القرآن يوجب على العباد عبادته وتوحيده، ويحرم عليهم عبادة ما سواه، فقد حكم وقضى: أنه لا إله إلا هو.

ودلالة لفظ الشهادة على ذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر وبين وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد. وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة، وهذا يتضمن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه، فإن النفي والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر والنهي.

والشهادة قد تكون بالقول، وقد تكون بالفعل، وشهادة الله سبحانه وتعالى لنفسه بانفراده بالألوهية هنا، كشهادته لرسوله ﷺ بأنه أنزل عليه الكتاب بقوله: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]، فقد شهد عز وجل هو وملائكته لنفسه بالوحدانية، ولنبيه ﷺ بالرسالة، والشهادة في الموضعين قولية.

وأما الشهادة الفعلية ففيما يظهره الله سبحانه وتعالى من آياته، فكل الكائنات تشهد لله عز وجل بالوحدانية بلسان الحال، وكذلك تأييده لنبيه ﷺ بالنصر، وجعل العاقبة له، هو شهادة الله بأنه رسول الله حقًا.

وقال ابن القيم: تضمنت هذه الآية الكريمة: إثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع الطوائف - والشهادة ببطلان أقوالهم، ومذاهبهم.

وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية، ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية.

فتضمنت هذه الآية: أجل شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها، من أجلِّ شاهد، بأجل مشهود.

وعبارات السلف في «شهد» تدور على: الحكم والقضاء، والإعلام والبيان والإخبار. قال مجاهد: حكم وقضى. وقال الزجاج: بين. وقالت طائفة: أعلم وأخبر. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها. فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد، وخبره وقوله، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه.

للشهادة أربع مراتب

فأول مراتبها: علم ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلمه بذلك ونطقه به، وإن لم يُعلم به غيره، بل يتكلم هو به مع نفسه، ويذكرها وينطق بها، أو يكتبها.

وثالثها: أن يُعلم غيره بما شهد به، ويخبره به، ويبينه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها، ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط: تضمنت هذه المراتب الأربعة: علم الله سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره خلقه به، وأمرهم وإلزامهم به.

أما مرتبة العلم: فإن الشهادة بالحق تتضمنها ضرورة، وإلا كان الشاهد شاهدًا بما لا علم له به. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]،

وقال النبي ﷺ: «على مثلها فاشهد». وأشار إلى الشمس.

وأما مرتبة التكلم والخبر: فمن تكلم بشيء وأخبر به فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بالشهادة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، فجعل ذلك منهم شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم. قال النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله». وشهادة الزور: هي قول الزور، كما قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣١]، وعند هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله». فسمى قول الزور شهادة، وسمى الله تعالى إقرار العبد على نفسه شهادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [المائدة: ١٣٥].

فشهادة المرء على نفسه: هي إقرار المرء على نفسه. وفي الحديث الصحيح في قصة ماعز: «فلما شهد على نفسه أربع مرات رجمه رسول الله ﷺ».

وقال تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].

وأما مرتبة الإعلام والإخبار: فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل مسلم معلم لغيره بأمر: تارة يعلمه بقوله، وتارة بفعله.

ولهذا كان من جعل دارًا مسجدًا وفتح بابها لكل من دخل إليها، وأذن بالصلاة فيها معلمًا أنها وقف، وإن لم يتلفظ به.

وكذلك شهادة الرب جل جلاله وبيانه وإعلامه: يكون بقوله تارة، وبفعله تارة أخرى.

فالقول: هو ما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، مما قد علم بالاضطرار: أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وأخبر بذلك،

وأمر عباده أن يشهدوا به.

وشهادته سبحانه: ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ معلومة من جهة كل من بلغ عنه كلامه. وأما بيانه وإعلامه بفعله: فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل والفطرة.

وهذا أيضًا يستعمل فيه لفظ الشهادة، كما يستعمل فيه لفظ الدلالة، والإرشاد والبيان، فإن الدليل يبين المدلول عليه ويظهره، كما يبينه الشاهد والمخبر بل قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ، وقد يسمى شاهد الحال نطقًا وقولاً له وكلامًا لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه.

والمقصود: أنه سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية، فتطابقت شهادة القول وشهادة الفعل، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

أي: أن القرآن هو الحق، فأخبر أنه يدل بآياته الخَلْقية على صدق آياته القولية الكلامية.

وهذه الشهادة الفعلية: قد ذكرها غير واحد من أئمة العربية والتفسير.

قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو.

وأما المرتبة الرابعة: وهي الأمر بذلك والإلزام به، وإن كان مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه، وتتضمنه، فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر، وألزم عباده به، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، والقرآن كله شاهد بذلك، ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد: «أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبيَّن وأعلم وحكم وقضى: أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهًا، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا.

وقوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: «القسط» هو: العدل. فشهد سبحانه أنه قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل: هما جماع صفات الكمال، فإن التوحيد يتضمن تفرده سبحانه بالكمال والجلال، والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه، والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب، وموافقة الحكمة.

فهو سبحانه وتعالى قائم بالقسط، أي بالعدل، وذلك في أحكامه التكليفية وأحكامه القضائية والجزائية، فليس فيها جور، وتتضمن الفضل والعفو والإحسان، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٨٦]، وقال عز وجل: ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، هذا أمر زائد على العدل، ومن ذلك أنه يجزي الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها أو يعفو، إلا من كان كافرًا فليس أهلاً للعفو، فلا يُعْفَى عنه.

والله سبحانه وتعالى يقتص للمظلوم من الظالم، إما بإجابة دعوة المظلوم إن دعا على ظالمه في الدنيا، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل، وقد بعثه إلى اليمن: «إياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». رواه البخاري ومسلم، وإما بالأخذ من حسناته يوم القيامة.

وقوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: هذا حكم بعد الشهادة، فشهد الله لنفسه أن لا إله إلا هو، وحكم لنفسه أيضًا بأن لا إله إلا هو، فاجتمع في كلامه عز وجل الشهادة والحكم فكان شاهدًا لنفسه، حاكمًا لها بالألوهية، لأن المعروف في المحاكمات والمرافعات، أن تؤدى الشهادة أولاً، ثم يأتي الحكم، فالله تعالى شهد أولاً، وأخبر بمن شهد معه، ثم حكم ثانيًا.

وقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: «العزيز»: أي ذو العزة، و«الحكيم»: مأخوذ من الحكم ومن الإحكام، فهو ذو الحكم وذو الإحكام.

وقال ابن كثير: العزيز: الذي لا يرام جنابه، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتم الأنبياء والمرسلين

رحمة من رب العالمين

إعداد/
د. عبدالله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ورضي الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بعض خصائص النبي ﷺ ووظائفه

تحدثت في اللقاء الماضي عن خمس من خصائصه ﷺ، وأواصل الحديث في مطلع هذا اللقاء بذكر ما بقي من الخصائص الواردة في الحديثين اللذين ذكرتهما - فيما مضى - فأقول وبالله التوفيق:

الخصيصة السادسة: ماجاء في قوله: «أعطيت جوامع الكلم»، وهذا دليل على قوة بلاغته وفصاحته ﷺ، وقد بلغ من ذلك مبلغًا عظيمًا لم يصل إليه أحد قبله، وهذه كلماته ﷺ بين أيدينا تكون قليلة الألفاظ، ولكنها كثيرة المعاني والفوائد، وما يزال أهل العلم وشراح الحديث يشرحون كلماته اليسيرة في الصفحات الكثيرة.

قال النووي - رحمه الله-: «وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني»(١).

ولم يكن النبي ﷺ مشهورًا بين قومه بالفصاحة والبلاغة وإن كان فصيحًا بليغًا، لأن الله تعالى صرفه عن مظهر فصاحتهم وبلاغتهم، وهو الشعر والخطابة، في الأسواق والمجامع لتكون حجته في إعجاز القرآن بالبلاغة أظهر وأبعد عن الشبهة، فلا يقولن قائل: إنه تمرن على الكلام البليغ وزاوله الزمن الطويل حتى ارتقى فيه إلى القمة الْعُلْيى التي لا يطاول فيها، وقد شهد الله في كتابه للنبي ﷺ بالقدرة على الكلام البليغ، وأمره به وفوض أمر الوعظ إليه فقال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

وفي صحيح مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ضمادًا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة(٢)، وكان يَرْقِي من هذه الريح(٣)، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعلَّ الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح وإن الله يَشْفِي على يدي من يشاء فهل لك(٤)، فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. أما

بعد». قال: فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر(٥)، قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك». قال: وعلى قومي»(٦).

فهذا رجل من المشركين شهد بفصاحة النبي الأمين ﷺ وأفاد أن كلامه - عليه الصلاة والسلام - ليس من جنس كلام السحرة والكهان. قال القاضي عياض في «الشفاء»: «وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل؛ سلامة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله، ومن تأمل حديثه وسيرته علم ذلك وتحققه». وقد كان كلام النبي ﷺ يدخل إلى القلوب وتصغي إليه الآذان لما اشتمل عليه من روعة الفصاحة والبيان، وكان يجمع في كلامه بين الترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، والكلام إذا اشتمل على ذلك عظم وقعه في القلب.

الخصيصة السابعة: أنه خاتم النبيين والمرسلين ﷺ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد صرحت هذه الآية بأن النبوة والرسالة ختمت بسيد الخلق ﷺ، وإنما ختمت النبوة به، لأن الله شرع له من الشرائع ما ينطبق على مصالح الناس في كل زمان ومكان، والقرآن الكريم لم يدع شيئًا من أمهات المصالح إلا جلاَّها، ولا مكرمة من أصول الفضائل إلا أحياها، فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين، وظهر مصداق ذلك بخيبة كل من ادعى النبوة بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعقيدة ختم النبوة بنبينا ﷺ من القضايا العقدية التي قررها القرآن، وبينها خير الأنام ﷺ وأجمع عليها الصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان،

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره للآية السابقة: «قال ابن عطية: هذه الألفاظ عند جماعة من علماء الأمة خلفًا وسلفًا متلقاة على العموم التام مقتضية نصًا أنه لا نبي بعده ﷺ»(٧).

وقال الإمام الحافظ ابن كثير: «هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، فلا رسول بطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة»(٨).

وقال الخطيب الشربيني: «والحاصل أنه لا يأتي بعده نبي مطلقًا بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقًا استنباء، وهذه الآية مثبتة لكونه خاتمًا على أبلغ وجه وأعظمه، وذلك أنها في سياق الإنكار بأن يكون بينه وبين أحد من رجالهم بنوة حقيقية، أو مجازية، ولو كانت بعده لأحد لم يكن ذلك إلا لولده، ولأن فائدة إثبات النبي تتميم شيء لم يأت من قبله وقد حصل به ﷺ التمام فلم يبق بعد ذلك مرام»(٩).

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تؤكد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، والمتتبع لها يجد أنها جاءت بصور شتى وألفاظ متعددة، وهي في جملتها تبلغ حد التواتر.

يقول عبد القاهر البغدادي - رحمه الله-: «وقد تواترت الأخبار عنه بقوله: «لا نبي بعدي»(١٠)، ويقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن ساق جملة من الأحاديث الدالة على ذلك: «والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلوات الله وسلامه عليه إليهم، ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده ليعلموا أنَّ من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعوذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد «الأسود العنسي» باليمن، و«مسيلمة الكذاب» باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي

لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان - لعنهما الله-، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال»(١١).

وسأذكر الآن بعض الأحاديث النبوية الدالة على ختم النبوة والرسالة به ﷺ ، فمن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟» ثم ذكر الشفاعة من بعض الأنبياء واعتذارهم عن القيام بها، حتى يذهب الناس إلى النبي ﷺ ويقولون له: «يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، استغفر لنا إلى ربك...»(١٢).

ففي هذا الحديث نص على أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأن الناس في الموقف يعرفون ذلك ويقولونه، ثم إن عدم إحالة النبي ﷺ الشفاعة إلى أحد بعده كما فعل من قبله من الأنبياء والمرسلين يدل على أنه خاتمهم وليس بعده نبي غيره صلى الله عليه وسلم، وقد صرَّح ﷺ بأنه خاتم النبيين في أحاديث كثيرة، منها ما رواه ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض» أو قال: «إن ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض...» إلى أن قال: «ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»(١٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله...»(١٤).

ويلاحظ أنه ذكر في حديث أبي هريرة «قريب من ثلاثين»، وفي حديث ثوبان السابق جزم بثلاثين، وقد جمع بينهما ابن حزم فقال: «إن رواية الثلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر، ويحتمل أن يكون الذين يدعون النبوة منهم ما ذكر من الثلاثين أو نحوها، وأن من زاد على العدد المذكور يكون كذابًا فقط لكن يدعو إلى الضلالة كغلاة الرافضة والباطنية وأهل الوحدة والحلولية، وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمد ﷺ».

وللحديث صلة - إن شاء الله-.

الهوامش:

١- شرح النووي على مسلم ج٥/,٥

٢- قبيلة باليمن. انظر معجم البلدان جـ٥/, ١٦٠

٣- المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن، وسموا بذلك، لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح. انظر شرح النوو ي على مسلم جـ٦/, ١٥٧

٤- أي فهل لك رغبة في رقيتي وتميل إليها.

٥- هكذا وردت الكلمة (ناعوس البحر) في صحيح مسلم، وووردت عند غير مسلم (قاموس البحر)، والمراد بها وسط البحر ولجته، وقيل: قعره الأقصى. شرح النووي على مسلم جـ٦/, ١٥٧

٦- صحيح مسلم، كتاب الجنة باب ١٣ جـ٢/, ٥٩٣

٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المجلد الثامن ص, ٥٣٧٨

٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير المجلد السادس ص, ٤٢٣

٩- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم للخطيب الشربيني جـ٣/, ٢٣٨

١٠- أصول الدين للبغدادي ص, ١٥٨

١١- تفسير ابن كثير المجلد السادس ص, ٤٢٥

١٢- أخرجه البخاري في كتاب التفسير جـ٨/٣٩٥، ومسلم كتاب الإيمان باب ٨٤ جـ١/١٨٤، كما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

١٣- الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الفتن، وقال الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن أبي داود جـ٣/٨٠١، كما أخرجه أحمد في مسنده جـ٥/٢٧٨، وابن ماجه جـ٢/١٣٠٤، والترمذي جـ٦/٤٦٦ مع تحفة الأحوذي، وله أصل في مسلم جـ٤/, ٢٢١٥

١٤- أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب ٢٥ جـ١٣/, ٨١



التربية الصوفية في ميزان الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

فإن تربية النفس وتزكيتها والسمو بها إلى مكام الأخلاق إحدى المهمات التي بُعث من أجلها رسول الله ﷺ كما قال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، والذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة - حاشاه - قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا ﴾ [مريم: ٦٤]، فقد شرع الله الغاية وبيَّن الوسائل، وفصلها رسول الله ﷺ أتم تفصيل وأوضحها أوضح بيان، إننا عندما نستعرض شعائر الإسلام كلها، ونربطها بهذه الغاية، نتبين أنه ليس للتزكية أعمال خاصة من مجموع العبادات، بل الإسلام كله أعماله غايتها التزكية والتقوى، فالصلاة تزكية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والزكاة تزكية، لقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا... ﴾ [التوبة: ١٠٣]، والصوم تزكية، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وبالجملة فالتوحيد والعبادة كلها تقوى وتزكية، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

إعداد/ معاوية محمد هيكل

إذن فالطريق الموصل للتقوى هو العبادة، والعبادة توقيفية بإجماع أهل العلم، ولا تثبت إلا بدليل من الكتاب والسنة، إن العبادة المقيدة بالأدلة الشرعية هي الوسيلة إلى تربية النفس وتزكيتها وليس لها أعمال وأفعال خاصة كما هو الحال عند المتصوفة الذين جعلوا محور التربية في تقديس شيخ يدور في فلكه مريد يلبي له ما يريد وعن أمره لا يحيد، كما زعموا أن تهذيب النفس يكون بالذكر المبتدع المفرد والعبادة لله لذاته لا خوفًا من عذابه ولا طمعًا في ثوابه؛ ضاربين بالنصوص الشرعية عرض الحائط كما يظهر في كتبهم من خلال هذا المقال الذي نبين فيه زيف ما اعتقدوه وضلال ما اعتنقوه:

أولاً: الشيخ المرشد وعلاقته بالمريد

وحتى يحقق التصوف مآربه ألبس رجالاته هالة العصمة، وأوجب على المريد أن يتخذ شيخًا، ليرشده إلى الطريقة، ويدله على الحقيقة.

قال القشيري: «يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدًا، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ؛ فإمامه الشيطان».

[الرسالة القشيرية: ص١٨١].

والعجيب أن من أهم آداب المريد أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي مغسله.

قال الغزالي: «وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير». [إحياء علوم الدين: ٣/٧٥].

وقال أيضًا: «ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فيقلده، وليدع رأيه ؛ فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه». [إحياء علوم الدين ١/٥٠].

وقال: «فمعتصَم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده ولا صدره، ولا يبقى في متابعته شيئًا ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو

أصاب». [إحياء علوم الدين ٧٦/٣].

وقال علي وفا: «المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسله، ولا كلام، ولا حركة، ولا يقدر أن ينطق بين يديه من هيبته، ولا يدخل، ولا يخرج، ولا يخالط أحدًا، ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر إلا بإذنه». [الأنوار القدسية ١٨٧/١].

فلا تعدو عيناه تريد أخذ العلم الصوفي عن شيخ آخر.

قال ابن عربي: «إن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصومًا، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة». [الفتوحات المكية ١٨٣/٣]. وقال القشيري: «من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعة والعصمة من المعاصي والمخالفات». [الرسالة القشيرية ص١٦٠].

وقال في «الفتوحات المكية»: «أحسن الظن ولا تنتقد بل اعتقد، وللناس في هذا المعنى كلام كثير، والتسليم أسلم، والله بكلام أوليائه أعلم». ويقول أيضًا:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله
فقم بها أدبًا لله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم
على الدلالة تأييدًا على الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم
لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حال تولّهم
عن الشريعة فاتركهم مع الله.

(الفتوحات المكية: باب ١٨١).

سبحان الله كيف يكون التولي عن الشريعة معية مع الله؟!

يقول محمد أمين الكردي: «.. ومنها أن لا يعترض عليه فيما فعله، ولو كان ظاهره حرامًا، ولا يقول: لم فعل كذا ؟ لأن من قال لشيخه: لم ؟ لا يفلح أبدًا، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن». [تنوير القلوب: ص٥٢٨].

ولذلك زخرت كتب المتصوفة بحكايات لترسيخ هذه الأكاذيب في قلوب المريدين المخدوعين.

قال القشيري في باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم: «ومن المشهور أن عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور (هو الحلاج)، يكتب شيئًا، فقال: ما هذا ؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن! فدعا عليه وهجره، قال الشيوخ: إن ما حلَّ به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه».

[الرسالة القشيرية ص١٥١].

وكذلك كثرت في كتبهم حكايات تروِّج للفساد لأنهم ضمنوا سكوت المريدين ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

صوفي يشرب الخمر

قال الدباغ: «يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر، وهو يشرب معهم فيظنونه شارب خمر، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت». [الإبريز ٤١/٢].

وقال: «إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي، وهو ليس بعاصٍ، وإنما روحه حجبت ذاته، فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية». [الإبريز ٤١/٢].

هكذا تُروِّج كتب المتصوفة للرذيلة وتقرر أنها فضيلة.

وكتب المتصوفة مليئة بمثل هذه الخرافات، مشحونة بتلك الترهات التي سموها كرامات، ليضلوا بها الأمة عن سبيل الله، إن هذه الأمثلة والأقوال سردها يكفي في نقضها ودحضها، لكن يلاحظ المستقرئ للطريقة الصوفية أن الشيخ أهم أركانها كما قالوا:

وصحبة شيخ هي أصل طريقهم
فما نبتت أرض بغير فلاحة

نور الوحي يبدد أوهام الصوفية

ولو عرضنا ما سبق من ضلالات والتي جعلت من الشيخ الصوفي مواصفات إله كما هو ظاهر من أقوال أقطابهم وعارفيهم، على الكتاب والسنة لوجدناها هي الباطل بعينه.

١- فالآيات الدالة على وجوب التحاكم إلي كتاب الله وسنة رسوله، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء:٥٩] وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

هذه الآيات واضحة لا لبس فيها في وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن الصوفية يردون كل شيء إلى شيوخهم ولو خالفوا إجماع أهل العلم والدليل الصحيح الصريح، وتأمل قول علي المرصفي الذي يزعم المتصوفة أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة: « وإن قال للمريد: إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه الرجوع إلى كلام شيخه، وإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه، إنه في حال تهمة، لارتداده عن طريق شيخه » (الطبقات الكبرى ١٢٨/٢).

انظر أيها القارئ كيف يصادرون علم العلماء

الذين هم ورثة الأنبياء وبنص حديث النبي ﷺ.

٢- قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١].

إن كلمات شيوخ المتصوفة مليئة بتشريع ما لم يأذن به الله، واقرأ إن شئت كلمة أحمد الرفاعي أحد الأقطاب عند المتصوفة الذي يزعم المتهوكون أن كراماته تسري في أتباعه من بعده: « من يذكر الله بلا شيخ، لا الله له حصل، ولا نبيه، ولا شيخه»

(قلادة الجواهر ص ١٧٧).

أليس هذا تشريعًا مضادًا لدين الله ؟!

وإن تعجب فعجب ضمان التيجاني الجنة لمن رآه أو أطعمه لقمة خبز يقول: « أخبرني سيد الوجود يقظة لا منامًا، قال لي: أنت من الآمنين، وكل من رآك من الآمنين، إن مات علي الإيمان، وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب » (جواهر المعاني ٩٧/١).

أليس هذا تشريعًا لم يأذن به الله؟! بل هو قول على الله بغير علم، وكذب وافتراء على رسول الله ﷺ الذي قال: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

نعم لقد اتخذ المتصوفة من شيوخهم أندادًا يحبونهم كحب الله بل أشد حبًا، كما تدل علي ذلك أقوالهم.

قال علي وفا: «فكما أن الله لا يغفر أن يُشرك به، فكذلك محبة الأشياخ لا تسامح أن يشرك بها »

(الأنوار القدسية ١٨٧/١).

وهذا الشعراني يقول: « سمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول: حقيقة حب الشيخ أن يحب الأشياء من أجله، كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل » (الأنوار القدسية ١٦٩/١).

وقال علي اليشرطي: « الطريق: ذكر الله، ومحبة الشيخ » (نفحات الحق ص ٩٧).

هذه أقوالهم ظاهرة الدلالة على أنهم جعلوا محبة الأشياخ فوق محبة رب العباد،فالويل لهم يوم التناد: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٥ -١٦٧].

ثانيا: الذكر الصوفي بدع ومنكرات

تقوم فلسفة الذكر عند المتصوفة على ترديد كلمة ما بشكل مستمر دون انقطاع، ويا ليتها وردت في أي نص شرعي.

والذاكر يقوم بترديد أي كلمة أو جملة بصورة مستمرة:

قال ابن عطاء الله السكندري: « أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد عليه من جملة الأسرار، فقد تجري على لسانه « الله الله الله »، أو « هو هو هو هو » أو « لا لا لا لا »، أو « آه آه آه آه » أو صوت بغير حرف، أو تخبط، فأدبه التسليم للوارد، وبعد انقضاء الوارد يكون ساكتا ساكتا، وهذه الآداب لمن يحتاج إلي ذكر اللسان، أما الذاكر بالقلب فلا يحتاج إلي هذه الآداب».

(مفتاح الفلاح ص ٣٠ -٣١).

وقال الشعراني: « وقال سيدي يوسف العجمي رحمه الله: وما ذكروه من آداب الذكر محله الذاكر الواعي المختار، أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأسرار، فقد يجري علي لسانه: » الله الله الله « أو » هو هو هو هو » أو « لا لا لا » أو « آه آه آه » أو «عا عا عا عا » أو «آ آ آ آ » أو « هـ هـ هـ هـ » أو « ها ها ها ها » أو صوت بغير حرف أو تخبيط، وأدبه عند التسليم للوارد ».

(الأنوار المقدسة ٣٩/١).

وقال ابن عربي: « فاغلق بابك دون الناس، وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك، واشتغل بذكر الله بأي نوع شئته من الأذكار، وأعلاها الاسم المفرد ،وهو قولك: «الله الله الله ». (رسالة الأنوار ص٦).

ما الدليل على هذا كله ؟!

ويؤكد هذا ابن سبعين فيقول: « وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به و لا تبالي ,وأي شيء يخطر ببالك سمه به ومن اسمه «الوجود» كيف يخصص بأسماء منحصرة ؟! هيهات ! الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه بما يسمي به نفسه أو نبيه، يقال لك: إن من سمي نفسه الله قال لك: أنا كل شيء، وجميع من تنادي أنا ... وبعضهم كان يقول: قد قد قد هذا هذا هذا له له له ».

(رسائل ابن سبعين ص ١٨٤).

ونحن نسأل: أين قال الله هكذا (وجميع من تنادي أنا؟!)

وبذلك يتبين أن حقيقة الذكر الصوفي ليست مرتبطة بذكر الله سبحانه ... وأما التزامهم الاسم المفرد فهو لإلباس التصوف لباس الإسلام ... ومع

ذلك فالذكر بالاسم المفرد بدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة.

وأما احتجاجهم بعموميات في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [سورة المزمل:٨]، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فلا يدل على جواز الذكر بالاسم المفرد، لأن تسبيح الله وذكره لا يكون إلا بالكلام التام المفيد، والاسم المفرد لا يحقق ذلك. وانظروا إلى أذكار الرسول ﷺ هل تجدون فيها ما يقولون؟!

ويحتج آخرون بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٩١].

زاعمين أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد. وهذا و هم، وتحريف للكلم عن موضعه فإن قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾. جواب لقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾. الآية، أي: الله الذي نزل الكتاب رد بذلك قول من قال: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١]. ومن ذلك يتبين أن الاسم (الله) مذكور في الأمر بجواب الاستفهام، فالاسم « الله » مبتدأ خبره دل عليه الاستفهام كقولك من صديقه ؟ فيقول: زيد.

وقد فند شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله جميع أدلتهم على المسألة في رسالة العبودية (ص ١٥٨-١٦٩) وقال في نهاية كلامه القيم: « المقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته، ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية، والمقاصد السامية.

وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلي أنواع البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد ». انتهى.

ويكفى في رد هذه البدعة قول رسول الله ﷺ: « أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله». (أخرجه ابن ماجه والترمذي وحسنه الألباني).

ولذلك كان رسول الله ﷺ يأمر بقولها، وكان يقولها في دبر كل صلاة، وكان يقولها إذا قام من الليل.

الذكر عبادة توقيفية

الذكر عبادة من أفضل العبادات، وأعظم الطاعات والعبادة تحتاج إلي نص صحيح صريح وإلا فلا تكون عبادة ... أما مشايخ الصوفية فقد أراد كل منهم أن ينصب نفسه مشرعًا لمريديه فوضع لهم من الأذكار ما ليس فيه أثر عن خير البشر محمد ﷺ ... وحاول كل منهم أن يجذب مريديه بشتى الطرق ومختلف الوسائل، فمنهم من زعم أن ورده أخذه عن الرسول ﷺ منامًا، ومنهم من ادعى أن رسول الله ﷺ أعطاه ورده يقظة، ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي علمه الأذكار ... إلخ.

ولكل طريقة وردٌ خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى والطرق الأخرى ،ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفي تبعا لتعدد الطرق وتباين الشيوخ، وكل شيخ يحرم على مريديه أن يذكروا بغير ما أذن لهم فيه أو أن يذكروا مع الطرق الأخرى... إن هذا الاختلاف الكبير دليل علي أن هذه الأذكار ليست من دين الله في شيء: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

من نور النبوة

صور من الذكر النبوي

تأمل أخي القارئ في نور الوحي وجلاله من خلال جمال الذكر النبوي، قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك». متفق عليه.

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع ؟ إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء، ما فيه ذكر مفرد، ولا ضرب صدر بذقن ولا هزة الرأس إلى أخمص القدم، وما فيه التناوح بالرأس يمنة ويسرة، ولا نتع من سرة إلى قلب، ما فيه منشد ولا دف، ما فيه دائرة يقف في

مركزها نُصُب يُرَقِّص الذاكرين بتصديته إنما فيه قلب مؤمن ضارع، ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى يتوجه إلى خالقه الأعظم، مالك الملك كله في إيمان صادق، وتوحيد خالص، فصلوات الله على محمد عبد الله ورسوله.

ثالثا: طلب الجنة والفرار من النار منقصة عظيمة عند الصوفية

يعتقد الصوفيون أن طلب الجنة والفرار من النار منقصة عظيمة في حق العابد، وإنما الطلب عندهم والرغبة لديهم - زعموا - في الفناء في الله، ويقولون: من عبد الله رغبة فتلك عبادة التجار، ومن عبده رهبة فتلك عباده العبيد، ومن عبد الله حبًا فتلك عبادة الأحرار.

قال الكلاباذي: «في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ١١١]. «لتعبدوه بالرق لا بالطمع»

(التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٤١).

وقال: «دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى. فقالوا: ما حالك ؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سببًا، غير أني عُرضت عليَّ الجنة فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار عليَّ، فعاتبني فله العتبى» (المصدر السابق ١٥٥).

ويستدل على عقيدة القوم بقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤].

فيقول: « أي الخالية عن ذكر الله، لتعلموا أنه بفضله نلتم لا بأعمالكم » (المصدر السابق ص ١٤٢).

من يتفق من أهل الإسلام مع الصوفية في هذا التفسير؟!

ويستدل أيضًا بقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: « الصوم لي وأن أجزي به » فيقول: قال أحد الكبراء: أي: أنا الجزاء به» (المصدر السابق ١٤٣).

مَن هذا الكبير؟ هل هو من الصحابة أم من التابعين، أم أنهم الكبراء في عقيدته وطريقته.

الأدلة الدامغة على فساد ما ذهب إليه الصوفية

١- استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾. على أن العبودية بالرق وليس بالطمع في الجنة؛ ساقط من وجوه ؛ أظهرها أنه قطع الآية عن نهايتها التي تدحض زعمه، وهي قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

[التوبة: ١١١]،

فالعوض هو الجنة التي رغبهم فيها بعبادتهم.

٢- استدلاله بقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤] على أنها الخالية من الذكر باطل يعكس معني الآية، فالله عز وجل يقول للمؤمنين يوم القيامة: كلوا واشربوا هنيئًا بسبب ما أسلفتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية.

٣- وأما استدلاله بالحديث فهو تحريف وتخريف، ففي رواية لمسلم بيان لمعنى الحديث: « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة قال اللهم إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به »، أي: أجر الصيام يضاعفه الله أضعافًا كثيرة فيوفى الصائمون أجرهم بغير حساب.

وهذه العقيدة الصوفية مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لما يلي:

أ- وصف الله حال الأنبياء وعبادتهم وأنها رغبًا ورهبًا: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

[الأنبياء ٨٩-٩٠].

ب- ووصف الله عباده المخلصين بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

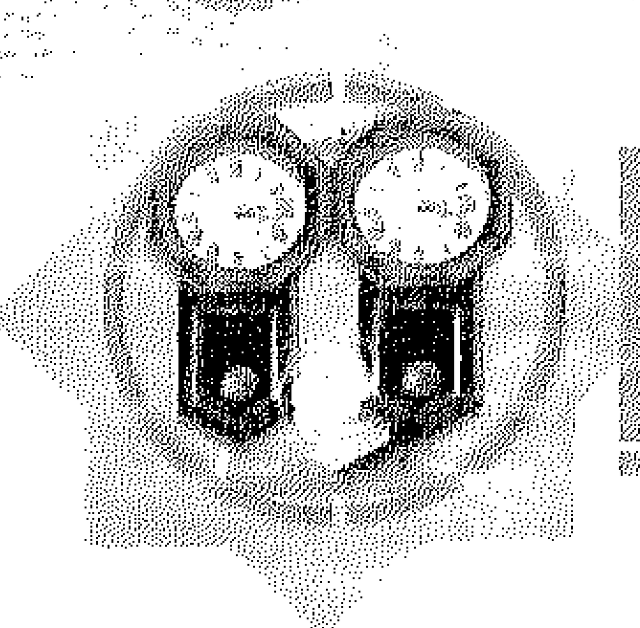
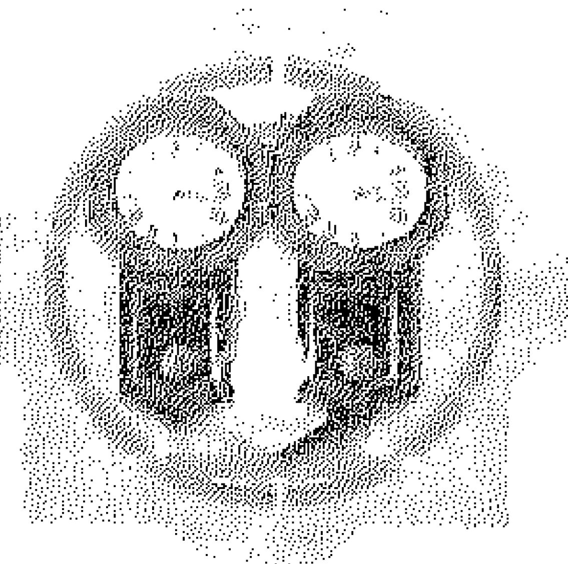
[السجدة: ١٥-١٧]

فهؤلاء الذين ورثوا الفردوس الأعلى وصف الله عبادتهم بأنها كانت خوفًا من عذابه وطمعًا في جنته.

جـ- الخوف من النار والطمع في الجنة يدندن حولها رسول الله ﷺ وأصحابه، فقد قال رجل لرسول الله ﷺ : والله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، وإنما أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال له ﷺ : «حولها ندندن » (أخرجه أبو داود وابن ماجه) فهل يتصور المتصوفة أنهم أكمل من رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ؟!

يقول بعض السلف: « من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حدث في مثل هذا الشهر

زواجه ﷺ بعائشة رضي الله عنها سنة ١هـ

بنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة، قال الإمام أحمد: عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحْظى عنده مني؟ وكانت عائشة تستحب أن تُدخل نساءها في شوال) [رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه] فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر أو ثمانية أشهر، وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رَدٌّ لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين، وهذا ليس بشيء؛ لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت: تزوجني في شوال وبنى بي في شوال أي دخل بي في شوال فاي نسائه كان أحظى عنده مني، فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نسائه إليه، وهذا الفهم منها صحيح، لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: مِن الرجال؟ قال: «أبوها». [البداية والنهاية ٣/٢٣٠].

غزوة بني قينقاع سنة ٢هـ

عن محمد بن إسحاق قال: كان من أمر بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: "يا معشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم» قالوا: يا محمد، إنك ترى أنا كقومك؟ لا يغرنك أنت لقيت قوماً" لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا تعلمن أنا نحن الناس!!

عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

عن الزهري أن غزوة رسول الله ﷺ بني قينقاع كانت في شوال من السنة الثانية من الهجرة، قال الزهري عن عروة، نزل جبريل على رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إنِّي أخاف من بني قينقاع» قال عروة: فسار إليهم رسول الله ﷺ بهذه الآية، قال الواقدي وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: حاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يطلع منهم أحد، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فقام إليه عبدالله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج فأبطأ عليه النبي ﷺ، قال: فادخل يده في جيب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ارسلْني» وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا في وجهه ظلالاً يعني تلوناً، ثم قال: «ويحك أرسلني» قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر تحصدهم في غداة واحدة، وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر؟ فقال رسول الله: "هم لك"، قال أبو جعفر: وقال محمد بن عمر في حديثه عن محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة: فقال النبي ﷺ: "خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم" فأرسلوهم، ثم أمر بإجلائهم وغنمٌ الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة فأخذ رسول الله ﷺ لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم، وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت.

عن أبي مبشر قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: لما رجعنا من بني قينقاع ضحينا في ذي الحجة صبيحة عشر، وكان أول أضحى رآه المسلمون وذبحنا في بني سلمة فعدت في بني سلمة سبع عشرة أضحية.

[تاريخ الطبري ٢/٤٨].

وفاة الحجاج سنة ٩٥هـ

توفي الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق، ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته ابنه عبد الله وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، فأقرهم الوليد بعد وفاته، وكتب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان: قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهدك و جهادك أعداء المسلمين و أمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي تحب، فأتمم مغازيك وانتظر ثواب ربك و لا تُغَيَّب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت فيه ولم يغير الوليد أحدًا من عمال الحجاج.

[تاريخ ابن خلدون ٣/٨٣].

مقتل الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يد ولده المنتصر، وكان سبب ذلك أنه أمر ابنه عبدالله المعتز الذي هو ولي العهد من بعده أن يخطب بالناس في يوم جمعة فأداها أداء عظيمًا بليغًا فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ وحنق على أبيه وأخيه، فأحضره أبوه وأهانه وأمر بضربه في رأسه وصفعه وصرح بعزله عن ولاية العهد من بعد أخيه، فاشتد أيضًا حنقه أكثر مما كان فلما كان يوم عيد الفطر خطب المتوكل بالناس وعنده بعض ضعف من علة به ثم عدل إلى خيام قد ضربت له أربعة أميال في مثلها فنزل هناك ثم استدعى في يوم ثالث شوال بِنُدَمَائِهِ على عادته في سمره وحضرته ثم تمالأ ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال ويقال من شعبان من هذه السنة وهو على السماط فابتدروه بالسيوف فقتلوه ثم ولوا بعده ولده المنتصر.

[البداية والنهاية ١٠/٣٤٩].

بلاء زراعي، وفرية يهودية سنة ٧٠١هـ

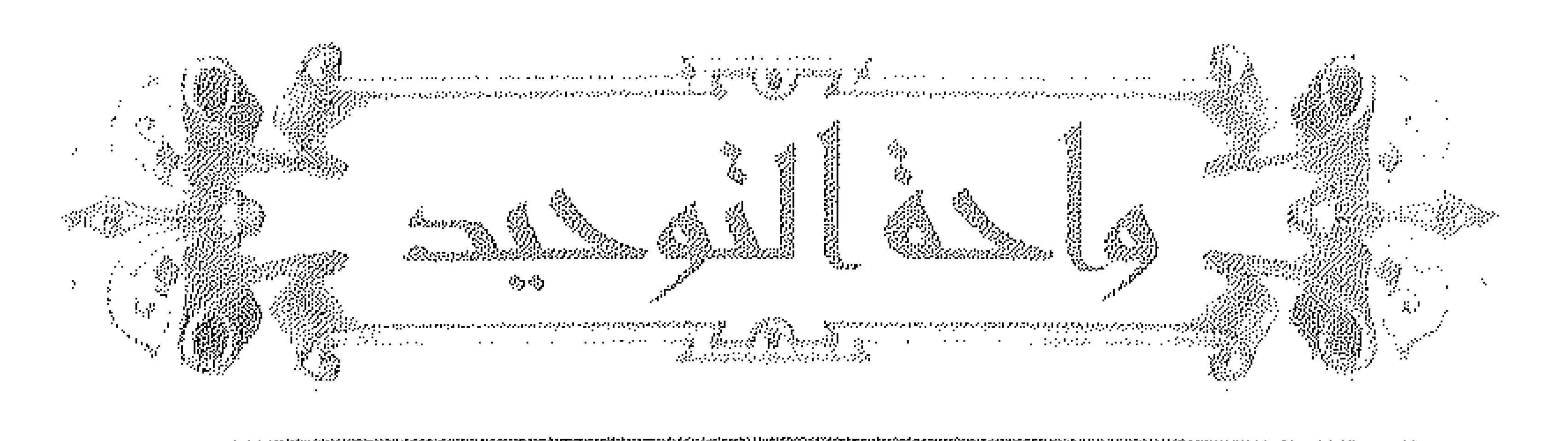
وفي شوال قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجرد الأشجار، حتى صارت مثل العصي، ولم يعهد مثل هذا.

وفي هذا الشهر أيضًا عُقد مجلس لليهود الخيابرة وألزموا بأداء الجزية أسوة بأمثالهم من اليهود، فأحضروا كتابًا معهم يزعمون أنه من رسول الله ﷺ بوضع الجزية عنهم، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل لما فيه من الألفاظ الركيكة والتواريخ المحبطة واللحن الفاحش، وحاققهم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وبيَّن لهم خطأهم وكذبهم وأنه مزور مكذوب فأنابوا إلى أداء الجزية، وخافوا من أن تستعاد منهم الشئون الماضية. (البداية والنهاية ١٤/١٨).

سيل عظيم وبلاء شديد بتكريت سنة ٩١٣هـ

قال ابن الأثير: في شوال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبراً، وغرق بسببه أربعمائة دار وخلق لا يعلمهم إلا الله، حتى كان المسلمون والنصارى يُدفنون جميعاً لا يعرف هذا من هذا.

[البداية والنهاية ١١/١٦٧].



من نور كتاب الله

من صفات المنافقين

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً. مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ [النساء].

من هدي رسول الله ﷺ

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر. [صحيح مسلم].

زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اله ﷺ قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات. [سنن أبي داود].

من فضائل الصحابة

أبو بكر وعمر في الجنة رغم أنوف الروافض

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الدرجات العلى يراهم من أسفل منهم كما يرى الكوكب الطالع في الأفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما. [سنن ابن ماجه].

من دلائل النبوة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتفتحنَّ عصابة (أي جماعة) من المسلمين كنز آل كسرى الذي في الأبيض».

[رواه مسلم].

قلت: صدق رسول الله ﷺ وهي بلاد فارس التي فتحها المسلمون الأوائل زمن وحدتهم وإخلاصهم وسلامة معتقداتهم.

من أقوال السلف

عن عمر رضي الله عنه قال: سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله.

عن عمر رضي الله عنه قال: لا يُتعلم العلم إلا لثلاث ولا يترك لثلاث: لا يتعلم: ليمارى به ولا يباهى به ولا يُراءى به، ولا يترك: حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه.

من فهم السلف

عن قيس بن أبي حازم قال: جاء رجل إلى أبي بكر الصديق فقال: إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله لحاجة! فقال (أي أبو بكر) لأبيه: إنما لك من ماله ما يكفيك، فقال (أي الأب): يا خليفة رسول الله! أليس قال رسول الله ﷺ: أنت ومالك لأبيك؟ فقال: نعم، وإنما يعني بذلك النفقة، ارض بما رضي الله عز وجل. [كنز العمال].

إعداد/ علاء خضر

من آداب الجار

قيل في حق الجار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلي عوراته ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره.

حكم ومواعظ

عن شريح قال: كنت مع علي بن أبي طالب ومعه الدرة بسوق الكوفة وهو يقول: يا معشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خذوا الحكمة ممن سمعتموها فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير رام.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الناس كلهم قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه.

[كنز العمال].

دعاء لمن به وجع

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بأصبعه (ويضعه على التراب) بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى سقيمنا بإذن ربنا. [متفق عليه]

من حكمة الشعر

قال الشافعي في ديوانه عن الرزق:

توكلتُ في رزقي على اللهِ خالقي
وأيقنْتُ أن اللّهَ لاشكَّ رازقي

وما يكُ من رزقي فليس يفوتُني
ولو كانَ في قاعِ البحارِ العوامقِ

سيأتي به اللّهُ العظيمُ بفضلِه
ولو لم يكنْ مني اللسانُ بناطقِ

ففي أيِّ شيءٍ تذهبُ النفسُ حسرةً
وقد قسَّمَ الرحمنُ رزقَ الخلائقِ

من متطلبات طالب العلم

عن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بت ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه. فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان: فقال: سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل ؟

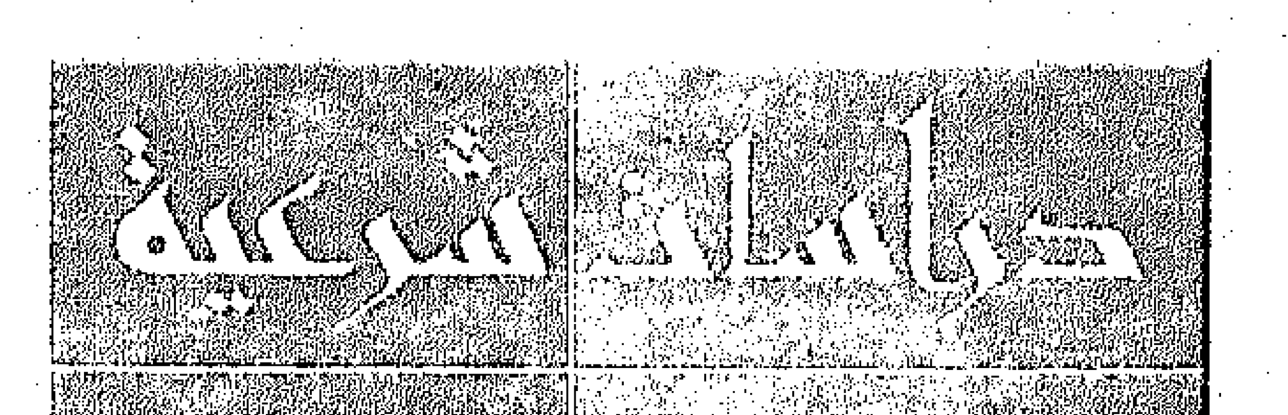
آفة حب الدنيا

عن مالك بن دينار قال: إن البدن إذا سقم لا ينفع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة. و كذلك القلب إذا علق فيه حب الدنيا لم ينفع فيه المواعظ. فسمعته يقول: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك.

[صفة الصفوة].

سيئ الخلق ينفر منه الناس !

عن أبي حازم رحمه الله قال: « السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون عنه فرقًا منه، وإن كلبه ليراه فينزو علي الجدار، وحتى إن قطته لتفر منه. [مساوئ الأخلاق ٢٦].





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

رأينا في الحلقة السابقة أن الله تعالى شرَّع الزواج آية من آياته الدالة على رحمته بعباده، وأن الزواج أعظم أركان المنهج الإسلامي في وقاية المجتمع من الفاحشة، يقي الفرد ويحفظ المجتمع كله عفيفًا طاهرًا، ولذلك اهتم المشرِّع به اهتمامًا كبيرًا في كل نواحيه، فتكلمنا عن الحث على النكاح، وقد وعد سبحانه بإعانة المقبل على الزواج، إن كانت نيته أنه يريد أن يعف نفسه ويعف امرأة مسلمة، كما بالحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونه ؛ المجاهد في سبيل الله، والناكح الذي يريد العفاف، والمكاتب الذي يريد الأداء». (صحيح سنن النسائي وغيره).

وأن مدار الأمر في الاختيار على الصلاح، كما أمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، ونستأنف البحث - إن شاء الله-:

فإذا كان المشرع قد وجَّه الرجل للزواج بالمرأة الصالحة وأن يفتش عن الدين والأخلاق، فإنه كذلك وجَّه ولي المرأة نفس التوجيه، فالمرأة بمفردها لا تستطيع الاختيار السديد، فهي لا تعرف الرجال حق المعرفة، فحث وليها أن يتخير لها الصالحين: بوَّب الإمام البخاري باب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير. وذكر فيه عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يُحدِّث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خُنيس بن حذافة السهميّ - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة - فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فَصَمَتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا، وكنت أوجدَ عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا.

قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلاَّ أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها. [البخاري ٥١٢٢].

ثم أورد حديثًا آخر في الباب وفيه جواز عرض الأخت لأختها ؛ إلاَّ أنه لم يورده بأكمله وأورده في موضع آخر، وفيه أن أم حبيبة قالت: قلت: يا رسول الله، انكحْ أختي بنت أبي سفيان. قال: وتحبين؟ قلت: نعم، لست لك بمخْلية، وأَحَبُّ من شاركني في خير أختي. فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحلُّ لي. قلت: يا رسول الله، فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح درَّة بنت أبي سلمة. قال: بنت أم سلمة ؟ فقلت: نعم. قال: فوالله لو لم تكن في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة. فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن. [البخاري].

ويجوز للمرأة أن تعرض نفسها على الرجل الصالح - مع مراعاة الضوابط الشرعية، وأمن

دور وقاية المجتمعات من الفاحشة

الحلقة الثامنة

إعداد / متولي البراجيلي

الفتنة، فقد بوَّب البخاري باب: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، وأورد تحته من حديث ثابت البناني قال: كنت عند أنس وعنده ابنةٌ له، قال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله، ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس: ما أقلَّ حياءها، واسوأتاه. قال: هي خيرٌ منك، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها. [البخاري].

قال ابن المنير في الحاشية: من لطائف البخاري أنه لما علم الخصوصية في قصة الواهبة استنبط من الحديث ما لا خصوصية فيه وهو جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح رغبة في صلاحه فيجوز لها ذلك، وإذا رغب فيها تزوجها بشرطه.

وقال الحافظ ابن حجر: وفي الحديثين (هذا الحديث وحديث سهل) جواز عرض المرأة نفسها على الرجل وتعريفه رغبتها فيه وأن لا غضاضة عليها في ذلك، وأن الذي تعرض المرأة نفسها عليه بالاختيار، لكن لا ينبغي أن يصرح لها بالرد بل يكفي السكوت. (فتح الباري ج٩/ح٥١٢٠).

ونؤكد مرة ثانية بمراعاة الضوابط الشرعية، ويا حبذا لو أنابت من يقوم عنها بذلك كما فعلت خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ.

ولقد قيَّد الإمام البخاري جواز العرض على الرجل الصالح، وهذا القيد - صلاح الرجل - في غاية الأهمية، لأن صلاح الرجل هو المأمول وهو الغاية بالنسبة للمرأة، لذا جاز لها عرض نفسها عليه طلبًا لصلاح دينها ورضا ربها.

فالأمر لا علاقة له بالدنيا حتى لا يُفهم على غير وجهه وتتخذه بعضهنَّ متكئًا فيتوسعن فيه مع عدم مراعاة قيده (الصلاح).

ففي فتاوى اللجنة الدائمة عدم جواز إعلان المرأة عن رغبتها في الزواج في الجرائد والمجلات وشبكات الإنترنت، وبث صورتها وذكر مواصفاتها، فذلك يتنافى مع الحياء والحشمة والستر.

(فتوى ١٨/ ١٧٢٣٠).

وإذا كان الدين هو أساس الكفاءة وأصل الاختيار بلا خلاف، فإن هناك بعض الأمور الأخرى التي يستحب مراعاتها في اختيار الزوجة: كأن تكون بكرًا، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا جابر، تزوجت بكرًا أم ثيبًا؟» قال: ثيبًا. فقال: «هلاَّ تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك».

لكن قد يكون هناك بعض الأسباب لنكاح الثيب وتقديمها على البكر: ففي الحديث أن جابرًا قال للنبي ﷺ: هلك أبي وترك سبع بنات، أو تسع بنات، فتزوجت ثيبًا، كرهت أن أجيئهن بمثلهن. فقال: «بارك الله لك». [متفق عليه].

- أن تكون ولودًا ودودًا: فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة (أي: خَطَبْتُ) ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا». ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم». [صحيح سنن أبي داود وغيره].

والودود: هي المرأة التي تتودد إلى زوجها، وتتحبب إليه، وتبذل وسعها في مرضاته.

- وأن تكون من بيئة كريمة تتميز بصفات أخلاقية حميدة: ففي الحديث يقول النبي ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

[متفق عليه].

وكذا يراعى في اختيار الزوج إلى جانب دينه وأخلاقه، أن يكون من بيئة كريمة، كما بالحديث السابق، وأن يكون قادرًا على النفقة عليها، ففاطمة بنت قيس لما استفتت رسول الله ﷺ في من تقدم

لخطبتها، قال عن معاوية: «وأما معاوية فصعلوك لا مال له». [مسلم وغيره].

ثالثًا: ندب النظر إلى المخطوبة

بوّب البخاري باب: النظر إلى المرأة قبل التزويج. ومن الأحاديث التي أوردها تحته حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أُريتكِ في المنام يجيء بك الملك في سَرَقة (أي: قطعة) من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب، فإذا أنتِ هي، فقلت: إن يك هذا من عند الله يُمْضِه». [البخاري].

-وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رجل إنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «أَنَظَرْتَ إليها، قال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا». [مسلم].

-ولما خطب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما». [صحيح الجامع].

فوائد

هل يجوز تكرار النظر؟

إذا لم يتحقق الغرض من أول مرة، يجوز تكرار النظر أكثر من مرة، ولو كان أكثر من ثلاث مرات حتى يتحقق المقصود من النظر وهو المذكور في حديث النبي ﷺ: «فإنه أحرى أن يؤدم بينكما». لكن فليحذر الخاطب أن يتخذ جواز النظر ذريعة للتنقل بين بيوت المسلمين والاطلاع على بناتهم بغرض المقارنة بين هذه وتلك، فإنه لا يجوز.

فإن حصل القبول أو الرفض، فلا يحل النظر بعد ذلك.

-الجمهور على أن ما ينظر إليه الخاطب هو الوجه والكفان فقط.

-والمرأة لها حق النظر إلى خاطبها ؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

-يجوز أن يتحدث معها في وجود المحرم، لكن فيما له فائدة ونفع.

رابعًا: عدم المغالاة في المهور

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما تزوج علي فاطمة قال له رسول الله ﷺ: «أعطها شيئًا». قال: ما عندي شيء. قال: «أين درعك الحطمية».
(سنن أبي داود- صحيح).

وعن أبي حدرد الأسلمي أنه أتى النبي ﷺ يستفتيه في مهر امرأة، فقال: كم أمهرتها؟ قال: مائتي درهم، فقال: لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم. (مسند أحمد – صحيح).

-وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها.

قال ثابت (راوي الحديث عن أنس): فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم – الإسلام – فدخل بها فولدت له. (سنن النسائي – صحيح).

-وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «... خير الصداق أيسره». [السلسلة الصحيحة].

فيستحب التيسير في المهر ؛ لأن الرسول ﷺ رغّب في ذلك، فقد زوج رسول الله ﷺ رجلاً بما معه من القرآن بعدما قال له: «التمس ولو خاتمًا من حديد». [متفق عليه].

-واعلم أنه يجوز تعجيل المهر كله أو تأخيره كله، أو تعجيل بعضه وتأخير بعضه، وإن كان الأولى تعجيل المهر كله، ويجوز أن يكون المهر مالاً أو عينًا (أثاث، سيارة... إلخ). فثابت بن قيس رضي الله عنه أصدق زوجته حديقة.

والمهر حق كامل تمتلكه الزوجة، وتتصرف فيه كيفما شاءت، ولا يجب عليها المشاركة في تأثيث منزل الزوجية، فإن هذا من مسئولية الزوج، لكن إن شاركت في تأثيث البيت فهذا جائز وعليه عرف الناس اليوم، وما شاركت فيه أو جاء به الزوج هو حق لها وهو جزء من مقدم مهرها (ويكتب الآن ما يسمى بالقائمة، وهذا ما جرت عليه أعراف الناس اليوم، ولا بأس به طالما لم يصادم نصًا، وكما قال ابن تيمية: إن معظم أمور الزواج ترجع إلى العرف).

خامسًا: عدم إكراه المرأة على الزواج

بوّب الإمام البخاري باب: لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما، وأورد فيه أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه حدَّثهم أن النبي ﷺ قال: «لا تُنكح

الأيِّم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها ؟ قال: «أن تسكت». [البخاري].

(تستأمر: أي لا يعقد عليها حتى يطلب الرد منها صراحة قولاً.

الأيم: من سبق لها الزواج. تستأذن: بخلاف الاستئمار فإن الإذن يدور بين القول والسكوت، بخلاف الأمر فإنه صريح في القول).

سادساً: إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود

عن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيِّب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فردَّ نكاحه. [البخاري].

قال ابن القيم في «الزاد»: «والحاصل أنه لا يجوز أن تجبر البكر البالغ على النكاح، ولا تزوج إلا برضاها، فإن وقع لم يصح العقد، وهذا مذهب الأوزاعي، والثوري، والحنفية وغيرهم، وحكاه الترمذي عن أكثر أهل العلم». «ومما يؤيد هذا ما ثبت في الحديث عن جابر رضي الله عنه :أن رجلاً زوج ابنته وهي بكر من غير أمرها، فأتت النبي ﷺ ففرق بينهما. (النسائي وغيره. وقال الحافظ: إن طرقه يقوي بعضها بعضًا».

-واعلم أنه كما ينبغي استئذان البنت في زواجها، فكذلك فإنه ليس لأحد الأبوين إلزام الولد بنكاح من لا يريد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريد، وإنه إذا امتنع لا يكون عاقًا، وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر عنه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح كذلك، وأولى. (مجموع الفتاوى).

داخل الحياة الزوجية

لم يكتف المشرع بضوابط الزواج واقتصر على ذلك، بل استمر مع الزوجين داخل الحياة الزوجية حال يسرهما وعسرهما، حال وفاقهما وخلافهما، يضبط ويبين ويوجه لتستقيم الحياة الزوجية كما أراد الله لها، وينتشر الود والرحمة في ربوعها، فتنتج المجتمعات رجلاً مستقيمًا سويًا وامرأة صالحة طائعة لزوجها وربها.

أولاً: الأمر بحسن العشرة:

إن الأمر بحسن العشرة باب من أبواب وقاية المجتمع من الفاحشة؛ وذلك لأنه لو قامت البيوت على المعاشرة الطيبة والود والتراحم والمحبة، لما تأزم الرجل وخرج يشكو لكل من يقابله، وربما يضعف إيمانه فينحرف عن الصراط المستقيم، وكذا المرأة لو وجدت حسن العشرة في بيتها ما سمعنا بقصص النساء اللاهيات، مع تقريرنا أنه لا يوجد مبرر على الإطلاق لفساد الرجل والمرأة مهما كانت الأحوال لو استقاما على الجادة، لكننا نتكلم عن بعض الحالات الواقعية التي قرأناها وسمعنا بها، والتي كان المحرك لها سوء المعاملة بين الزوجين.

والمشرع لأنه يشرع لكل الناس، فإنه يسد كل الذرائع التي قد تؤدي ببعض ضعاف النفوس قليلي الإيمان إلى الانحراف.

قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾، فينبغي للزوج أن لا يعبس في وجه زوجته بغير ذنب، وأن لا يكون فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلاً إلى غيرها.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي». [الترمذي وغيره]. فمن إحسان العشرة طيب الكلام، وحسن الفعال والهيئات، والتغاضي عن الهفوات.

وفي الحديث: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان (أسيرات) عندكم». (صحيح الجامع).

-ومداراة المرأة من حُسن عشرتها: وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ : «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج». [متفق عليه].

والكسر هو الطلاق كما عند مسلم: «وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها». وفي رواية: «فدارها تعش بها». (صحيح الجامع).

قال الحافظ ابن حجر: ولا يعني ذلك تركها إلى تعاطي المعصية أو ترك الواجب، وإنما يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة. [فتح الباري].

ومن حسن العشرة إذا رأى منها ما يسوؤه تذكر منها ما يسره، كما بالحديث عن رسول الله ﷺ : «لا يَفْرَكْ (لا يبغض) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقًا

رضي منها آخر». [مسلم].

فينبغي أن يتحلى كل من الزوجين بالصبر والحلم والاحتمال مع صاحبه، فليس هناك كمال لأحد.

-وكما أمر الرجل بحسن العشرة مع زوجته، فإنه كذلك أمر المرأة بحسن العشرة لزوجها وبيَّن لها حقوق زوجها عليها.

حقوق الزوج على زوجته

١- طاعة الزوج:

أمر الشرع المرأة بطاعة زوجها - في المعروف - وأن حق زوجها مقدم على حق أبويها، وأن طاعة زوجها طريقها إلى جنة ربها.

فعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي رضي الله عنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: «أيّ هذه أذات بعل (زوج)؟» قلت: نعم، قال: «كيف أنت له؟» قلت: ما آلوه إلا ما عجزتُ عنه (أي لا أقصر في طاعته)، قال: فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك».

(النسائي وغيره، وهو في آداب الزفاف للألباني).

يقول ابن تيمية: وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج. (الفتاوى).

٢- لا تصوم إلا بإذنه:

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «لا تصم المرأة وبعلها (زوجها) شاهد (حاضر) إلا بإذنه». [متفق عليه].

وهذا في صيام النافلة، حيث لا تستأذن الزوجة في صيام الفريضة.

٣- لا يأذنّ لأحد في بيته إلا بإذنه:

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «... فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكن لمن تكرهون». [مسلم].

قال النووي في شرحه على مسلم: «... لا يأذنّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيًا أو امرأة، أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك...».

٤- لا تخرج من بيته إلا بإذنه:

قال ابن قدامة في المغني: وللزوج منعها من الخروج من منزله إلا ما لها منه بُدّ، سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتهما، أو حضور جنازة أحدهما، قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها، إلا أن يأذن زوجها.

ومع قوله هذا، إلاَّ أنه وجه الكلام إلى الزوج، فقال: لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما، لأن في ذلك قطيعة لهما، وحملاً على مخالفته، وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف، وليس هذا من المعروف.

وإذا خرجت من بيته بغير إذنه، قال شيخ الإسلام: إذا خرجت من داره بغير إذنه فلا نفقة لها ولا كسوة. [الفتاوى].

٥- أن تحفظ مال زوجها:

فالمرأة راعية في بيت زوجها، وعليها حفظ ماله، وقد قال رسول الله ﷺ في المرأة الصالحة: «.. ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره». [النسائي وغيره].

٦- عدم امتناعها عن فراش زوجها:

في الحديث قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح». [متفق عليه].

وفي رواية أخرى: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي رواية: «حتى ترجع». [متفق عليه].

٧- أن تتجمل لزوجها:

فيراها دائمًا في صورة مشرقة بهية، جميلة، نظيفة، طيبة الرائحة، فتسر نظره وتسعد قلبه. كما بالحديث: قال رسول الله ﷺ: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك». [النسائي وغيره].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



القول السديد

في حكم الجمعة إذا اجتمعت مع العيد

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى، وبعد:

فقد من الله على المسلمين بشهر رمضان يأتيهم في كل عام فيتقربون إليه فيه بالصيام والقيام، ثم يأتي من بعده يوم العيد وقد يوافق هذا اليوم يوم الجمعة، وقد اختلف الفقهاء في حكم صلاة الجمعة إذا وافقت يوم عيد واجتمع العيد مع الجمعة في يوم واحد، ولنا مع هذا الموضوع الوقفات الآتية:

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الوقفة الأولى: الأحاديث الواردة في هذا الموضوع:

١- عن محمد بن كثير قال: أخبرنا إسرائيل قال: حدثنا عثمان بن المغيرة عن إياس بن أبي رواد الشامي قال: أشهدت معاوية بن أبي سفيان وهو يسأل زيد بن أرقم قال: أشهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا في يوم؟ قال: نعم. قال: فكيف صنع؟ قال: صلى العيد ثم رخص في الجمعة. فقال: من شاء أن يصلي فليصلِّ.

[رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود].

٢- عن عطاء بن أبي رباح قال: صلى بنا ابن الزبير في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار، ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلينا وحدنا، وكان ابن عباس بالطائف فلما قدم ذكرنا ذلك له، فقال: أصاب السنة.

[أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

٣- عن ابن جريج قال: قال عطاء: اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير. فقال: عيدان اجتمعا في يوم واحد فجمعهما جميعًا فصلاهما ركعتين بكرةً لم يزد عليهما حتى صلى العصر.

[أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قد اجتمع في يومكم عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مُجمِّعون.

[رواه أبو داود وقال عنه الألباني صحيح بما قبله أي بشواهده].

٥- عن ابن عمر قال: اجتمع عيدان على عهد رسول الله ﷺ فصلى بالناس ثم قال: من شاء أن يأتي الجمعة فليأتها، ومن شاء أن يتخلف فليتخلف.

[رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

الوقفة الثانية: الرخصة في صلاة الجمعة بعد العيد:

اختلف العلماء في ذلك على عدة آراء:

الرأي الأول: ذهب إلى أن صلاة الجمعة بعد العيد تصير رخصة يجوز للمسلم أن يصليها أو يتركها، وهذا الحكم خاص بمن صلى العيد دون من لم يصلِّ صلاة العيد كما أن هذا الحكم لا يشمل الإمام وثلاثة معه، وهو قول جماعة من العلماء.

الرأي الثاني: ذهب إلى أن صلاة الجمعة بعد العيد لا تصير رخصة بل يجب أن يصليها المسلم

المكلف بها وهو قول الشافعي.

الرأي الثالث: ذهب إلى أن صلاة الجمعة تصير رخصة يسقط أداؤها وفرضها عن الجميع، وهو قول عطاء.

الرأي الرابع: ذهب إلى سقوط صلاة الجمعة عن غير المقيمين في البلد، وهو قول للشافعي وأبي حنيفة.

أدلة كل رأي:

دليل الرأي الأول: القائل بأن صلاة الجمعة بعد العيد تصير رخصة يجوز للمسلم أن يصليها أو يتركها الآتي:

١- الأحاديث الوارد ذكرها آنفًا في الوقفة الأولى، فقد خير النبي ﷺ الصحابة بين فعلها وتركها، فقال ﷺ: «من شاء أن يصلي فليصلِّ»، والتخيير يدل على عدم الوجوب ؛ إذ الواجب ما لا تخيير فيه بل هو ما طلب الشارع فعله على وجه الحتم والإلزام بحيث يثاب فاعله ويستحق العقاب تاركه، كما أن قول ابن عباس مادحًا ابن الزبير لتركه صلاة الجمعة يوم العيد «أصاب السنة» يدل على أن ترك صلاة الجمعة إذا وافقت يوم عيد هو القول الراجح والأولى بالقبول.

٢- ولأن الجمعة إنما زادت على الظهر بالخطبة وقد حصل سماعها في العيد «لاشتمال صلاة العيد على خطبة» فأجزأ عن سماعها ثانيًا.

وأما الإمام فلا تسقط عنه للآتي:

١- لقوله ﷺ: «وإنا مجمعون».

٢- ولأنه لو تركها لامتنع فعل الجمعة في حق من تجب عليه ومن يريدها ممن سقطت عنه.

دليل الرأي الثاني: القائل بعدم سقوط صلاة الجمعة الآتي:

١- عموم الآية والأخبار الدالة على وجوب الجمعة وهي:

أ- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

ب- ومن السنة: قوله ﷺ: «الجمعة حق واجب على كل مسلم إلا أربعة: عبدٌ مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض». [رواه أبو داود بسند صحيح]. وقوله: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين». متفق عليه. وقال: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا طبع الله على قلبه».

[أخرجه أبو داود وغيره، وقال الألباني: حسن صحيح].

٢- ولأنها صلاتان واجبتان فلم تسقط إحداهما بالأخرى كالظهر مع العيد، فكما لا تسقط صلاة الظهر عمن صلى العيد في سائر أيام الأسبوع إذا وافق أحدها يوم العيد، فكذلك لا تسقط صلاة الجمعة لمن صلى العيد إذا وافق يوم الجمعة.

دليل الرأي الثالث

القائل بسقوط صلاة الجمعة عن الجميع الإمام والمأمومين، الآتي:

١- عموم الأدلة السابق ذكرها، ومنها ترك ابن الزبير لصلاة الجمعة وهو إمام القوم فقد صلى بهم صلاة العيد ولم يخرج إليهم لصلاة الجمعة، فدل ذلك على سقوط الجمعة عن الجميع ؛ الإمام والمأمومين.

٢- قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مادحًا تركه: «أصاب السنة» فدل ذلك على أن السنة سقوط الجمعة عن الجميع ؛ الإمام والمأمومين.

دليل الرأي الرابع: القائل بسقوط الجمعة عن غير المقيمين في البلد الآتي:

قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: من أراد من أهل العوالي أن يصلي معنا الجمعة فليصلِّ، ومن أحب أن ينصرف فليفعل.

مناقشة الأدلة

أ- يرد على دليل القول الثاني بالآتي:

١- أن أدلتهم الموجبة لصلاة الجمعة أدلة عامة مخصوصة بما ذكرناه من أحاديث تدل على سقوط الجمعة عمن صلى العيد.

٢- قياسهم عدم سقوط الجمعة عمن صلى العيد

على عدم سقوط الظهر عمن صلى العيد منقوض بالظهر مع الجمعة.

ب- يرد على دليل القول الثالث بالآتي: بأننا لو أسقطنا الجمعة عن الإمام لامتنع فعل الجمعة في حق من تجب عليه ومن يريدها ممن سقطت عنه.

د- يرد على دليل القول الرابع بالآتي:

١- بأن قول عثمان لا يخصص قول النبي ﷺ.

الرأي الراجح

هو الرأي القائل بسقوط الجمعة عمن صلى العيد ما عدا الإمام لقوة أدلتهم وسلامتها عن المعارض.

الوقفة الثالثة: حكم صلاة الظهر في ذلك اليوم

اختلف الفقهاء فيما إذا سقطت صلاة الجمعة عمن صلى العيد هل يجب عليه صلاة الظهر أم لا ؟ على رأيين:

الرأي الأول: يرى سقوط فرض الظهر كذلك ولا يصلي المصلي إلا العصر.

دليله: عن عطاء قال: اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير، فقال: عيدان اجتمعا في يوم واحد، فجمعهما جميعًا فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر.

[أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

٢- قالوا: إن الجمعة الأصل في يومها والظهر بدل عنها فإذا سقط وجوب الأصل مع إمكان أدائه سقط البدل.

الرأي الثاني: يرى عدم سقوط صلاة الظهر بل يجب أن تصلى صلاة الظهر في ذلك اليوم.

دليله: قال الإمام الصنعاني في سبل السلام: «ولا يخفى أن عطاء أخبر أنه لم يخرج ابن الزبير لصلاة الجمعة وليس ذلك بنص قاطع أنه لم يصلِّ في منزله، فالجزم بأن مذهب ابن الزبير سقوط صلاة الظهر في يوم الجمعة الموافق ليوم العيد على من صلى صلاة العيد لهذه الرواية غير صحيح لاحتمال أنه صلى الظهر في منزله بل إنه وضح من قول عطاء أنهم صلوا وحدانا صلاة الظهر ما يشعر بأنه لا قائل بسقوطه، مع العلم بأنه لا يمكن القول بأنهم صلوا وحدانا صلاة الجمعة لأنها لا تصح إلا جماعة وهذا إجماع لا خلاف فيه». اهـ.

الرد على الرأي الأول: قال الخطابي: «وهذا لا يجوز أن يحمل إلا على قول من يذهب إلى تقديم الجمعة قبل الزوال، فعلى هذا يكون ابن الزبير قد صلى الجمعة فسقط العيد والظهر لأن الجمعة إذا سقطت بالعيد مع تأكدها فالعيد أولى أن يسقط بها، أما إذا قدم العيد فلا بد من صلاة الظهر في وقتها إذا لم يصل الجمعة، والله أعلم». اهـ.

الرأي الراجح: هو الرأي الثاني القائل بعدم سقوط صلاة الظهر.

الوقفة الرابعة: هل الأصل الظهر أم الجمعة ؟

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: يرى بأن الأصل صلاة الجمعة والظهر بدل منها.

الرأي الثاني: يرى بأن الأصل الظهر والجمعة بدل منها.

قال الصنعاني في سبل السلام: «ثم القول بأن الأصل في يوم الجمعة صلاة الجمعة والظهر بدل عنها قول مرجوح بل الظهر هو الفرض الأصل المفروض ليلة الإسراء والجمعة متأخرة فرضيتها ثم إذا فاتت وجب الظهر إجماعًا فهي البدل عنه».

الرأي الراجح: أن كلا الصلاتين أصل في يومها فالجمعة أصل في يومها، والظهر أصل في يومه.

الوقفة الخامسة: معنى سقوط فرض الجمعة والأثر المترتب عليه:

معنى سقوط فرض الجمعة أو الظهر هو الوارد في قول زيد بن أرقم رضي الله عنه ثم رخص في الجمعة، فمن شاء أن يصلي فليصلِّ ، فلا يجوز لمسلم أن يُخَطِّئَ آخر ترك صلاة الجمعة، ولا يجوز لمن لم يصلِّ أن يُخَطِّئَ من صلى، فالأمر فيه سعة، والإثم مدفوع عن الفاعل أو التارك، وإن كان يستحب للمسلم أن يتبع هديه ﷺ فإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه، والله من وراء القصد.

الأسرة المسلمة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فكما تمر السنون والأيام فقد مر شهر رمضان، ومضى وهو شاهد على العديد من الناس، فمن مغتنم للأوقات مكثر من الدعوات مسارع في الخيرات، ومن مكتف بشهود أيام رمضان فإذا خرج من رمضان عاد لسيرته الأولى من هجر القرآن ودروس العلم وأعمال الخير، ومن شارد عن بيت الله، هارب عن مشاركة المسلمين في دعوتهم وعبادتهم، لا يدري ما الله مريد منه، ولا فاعل فيه.

فاللهم اجعلنا من الصنف الأول الذي كان رمضان فاتحة خير لعامه الجديد، وتأسيسًا لعمله من الصالحات، وطمعًا فيما أعده الله تعالى في الجنات.

جنة الخلد وضيافة الرحمن

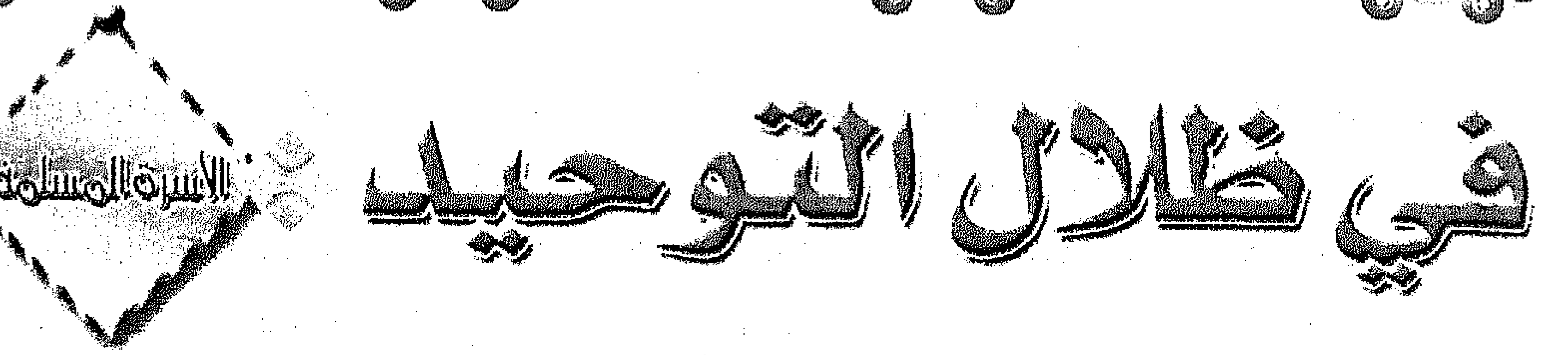
هل علم الفائزون في رمضان ما أعد الله تعالى لأهل الإحسان في الجنة؟ ما طعامهم؟ ما شرابهم؟ ما هداياهم؟ ما ضيافتهم؟ يخبرنا عن ذلك سيد ولد آدم ﷺ:

عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لم تدفعني ؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك»؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سل»، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر». قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين».

قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال: «زيادة كبد النون» (أي الحوت). قال: فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال: «يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شرابهم عليه ؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلاً». قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «ينفعك إن حدثتك ؟» قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد ؟ قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مَنيُّ الرجل مَنِيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله». قال اليهودي: «لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به». [رواه مسلم في صحيحه].

فهذه هي الجنة التي ينبغي أن يشمر لها المشمرون، ويعمل لأجلها العاملون، ويتنافس في سبيلها المتنافسون.

وأهل الجنة بعد دخولها نُصبت لهم الموائد



إعداد/ جمال عبدالرحمن

الربانية، فهم في ضيافته جل وعلا، وقد أحلهم دار المقامة لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب.

الأب المسلم نحو مسئولياته والأم المسلمة

أيها الأب المربي، أيتها الأم المربية: هل شمرتما للجنة التي أعدها الله تعالى للمجتهدين من عباده؟ وهل حَرَصْتُمَا على الأخذ بأسباب النجاة من النار، والتي منها صيانة الأولاد وتأديبهم وتربيتهم؟

أيها المربون ؛ إن التربية أمرٌ صعب في هذا الزمن الصعب، لكنها يسيرة على من يسرها الله سبحانه وتعالى عليه، فقاصد الله لا يخيب، ورحمة الله من المحسنين قريب، فمن أراد أن يعبد الله بما شرع في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، فإن الله تعالى الذي لم يكلفه ما لا يطيق سيوفقه ويعينه، ويجعل عاقبته إلى خير.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة». سنن ابن ماجه وحسنه الألباني.

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون لأحد ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فيتقي الله فيهن ويحسن إليهن إلا دخل الجنة». قال الأرناءوط: حديث صحيح لغيره. وعند أبي داود: «فأدبهن».

والعلماء على أن التأديب هنا أي بآداب الشريعة، واتقى الله فيهن أي في أداء حقوقهن، وصبر عليهن وأطعمهن وكساهن وزوجهن فأحسن أدبهن ورحمهن وكفلهن، قال الحافظ في الفتح بعد ذكر هذه الألفاظ: يجمعها لفظ الإحسان.

وفي رواية للترمذي: «من ابتلي بشيء من هذه البنات». قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: يحتمل أن يكون معنى الابتلاء هنا الاختبار، أي من اختبر بشيء من البنات ليُنظر ما يفعل ؛ أيحسن إليهن أو يسيء، ولهذا قيده في حديث أبي سعيد بالتقوى: «واتقى الله فيهن»، فإن من لم يتق الله لا يأمن أن يتضجر بمن وكله الله إليه أو يقصر عما أُمر بفعله، أو لا يقصد بفعله امتثال أمر الله وثوابه، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «كن له حجابًا من النار» كما في رواية الترمذي: «سترًا من النار» أي: جزاؤه على ذلك وقاية بينه وبين نار جهنم حائلاً بينه وبينها، وفيه تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من القوة البدنية وجزالة الرأي، وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرتُه فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار».

وفي شأن عيالة الأولاد عمومًا ذكورًا وإناثًا، قال رسول الله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول». رواه أحمد وصححه.

وقال ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه

على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله». قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم ؟

[رواه مسلم].

وتوعد النبي ﷺ من يضيع عياله من النفقة والتعليم فقال: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول».

[سنن النسائي الكبرى].

إن تربية الأولاد وعيالتهم وكفايتهم وتعليمهم وتأديبهم من أعظم الأعمال التي كلف بها الشرع الأبوين وجعلها مسئولية عظيمة لا تقبل التفريق ولا الإهمال، بل الإهمال والاستهتار في مقابله العذاب في النار: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ١٢].

□□□

وإذا كان الإسلام نهى عن تضييع الأولاد في النفقة والتعليم، فكيف كانت حياة نساء السلف تجاه هذا المال؟

المال في حياة المرأة المسلمة

المرأة الصالحة والزهد في المال وإنفاقه والتطلع إلى ما عند الله

بعث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بثمانين ألف درهم إلى عائشة- رضي اللّـه عنها- وكانت صائمة وعليها ثوب خَلِق (بالي)، فوزعت هذا المال من ساعتها (في الحال) على الفقراء والمساكين.. ولم تُبق منه شيئًا، فقالت لها خادمتها: يا أم المؤمنين، ما استطعت أن تشتري لنا لحمًا بدرهم تفطرين عليه ؟ فقالت: يا بنية، لو ذكرتني لفعلت(٦).

ومن المواقف العظيمة لأم المؤمنين رضي اللّـه عنها في الإنفاق والزهد ما قاله الإمام مالك رحمه اللّـه في موطئه، قال: أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ ؛ أن مسكينًا سألها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه، قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ؛ ما كان يُهدى لنا ؛ شاة وكفنها(٧)، فدعتني عائشة أم المؤمنين فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك.

وعن مالك أيضًا قال: بلغني أن مسكينًا استطعم عائشة أم المؤمنين، وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب ! كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة(٨)!

نعم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ × وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. وهذا ما فهمته عائشة رضي اللّـه عنها.

وعن عطاء بن السائب قال: أوصى إليَّ رجل من أهل الكوفة في تركته وذكر أنه مولى لآل علي بن أبي طالب، فقدمت المدينة فدخلت على أبي جعفر ؛ محمد بن علي، فقال: ما أعرفه، ودلني على (أخته) أم كلثوم بنت علي، فإذا عجوز على سرير في بيت رَثّ، فإذا في البيت سقاء معلق، فجعلت أقلِّب بصري في البيت، فقالت: يا بني، لا يحزنك ما ترى، فأنا بخير، قلت: أوصى رجل إليَّ بتركته، وذكر أنه مولى لكم، قالت: ما أعرفه، وإن مولى لنا يقال له هرمز أو كيسان أخبرني أن رسول اللّـه ﷺ قال: «يا كيسان، إن آل محمد لا يأكلون الصدقة، وإن مولى القوم من أنفسهم فلا تأكله»(٩).

فانظري أيتها المسلمة لهذا النموذج الفذ العظيم، ليس عندها في البيت متاع إلا ما يبلغها ويحفظ حياتها ؛ وتقول لعطاء: يا بني لا يحزنك ما ترى، فأنا بخير، نعم هي بخير مادامت تشعر بأنها قريبة من ربها وأن الدنيا ليست دار مقر، وأن الآخرة خير وأبقى.

أما عمر رضي الله عنه فقد أرسل إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش- رضي اللّـه عنها- نصيبها من العطاء، فلما أُدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري

من أخواتي كان أقوى على قَسْم هذا مني، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله ! واستترت من المال بثوب، وقالت: ضعوه واطرحوا عليه ثوبًا، قالت بَرّة أو برزة بنت رافع راوية الحديث: ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، فقسمت حتى بقي منه بقية تحت الثوب، فقالت لها برة: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فكشفنا فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهمًا، ثم رفعت أم المؤمنين يدها، فقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا(١٠). فتوفيت من عامها.

ومن هنا نرى أن أم المؤمنين:

أولاً: كرهت مجيء هذا المال إليها.

ثانيًا: سترته بثوب عن وجهها لتحفظ عينيها من النظر إلى فتنته، ومن ثم لا يصل إلى قلبها حب ذلك المال.

ثالثًا: أمرت الجارية أن تقبض منه بيدها لتحفظ أم المؤمنين يدها من مس ذلك المال فتؤثر في يدها فتنته.

رابعًا: دعت الله ألا يدخل عليها مثل هذا المال بعد يومها، فاستجاب الله لها وقبضها. فالدنيا ليست هَمَّ أم المؤمنين، بل جعلت المال وسيلة لنيل أعلى درجات الآخرة، ولم تجعله هدفًا، كما هو في حياة الكثيرين اليوم والكثيرات.

المرأة الصالحة ومال زوجها

المرأة مأمورة أن تحافظ على مال زوجها، فهي مؤتمنة عليه وهي عندئذ من خير النساء كما بين ذلك رسولنا ﷺ في قوله: «خير النساء من تسرك إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك»(١١). وليس لها أن تتصرف في شيء منه إلا بإذنه ما دام أنه يحسن الإنفاق عليها وعلى بيتها وأولادها، لكنه في حالة ما إذا كان الزوج شحيحًا في الإنفاق على أولاده، فيجوز أن تأخذ المرأة من ماله بدون علمه وإذنه ما يكفيها وأولادها بالمعروف، كما أذن بذلك النبي ﷺ.

عن أم المؤمنين عائشة- رضي اللَّه عنها- أن هند بنت عتبة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان- زوجها- رجل مِسِّيك، وفي رواية: شحيح، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: «لا أراه إلا بالمعروف». وفي رواية: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك»(١٢).

المرأة الصالحة والتصدق على زوجها

انطلقت زينب امرأة عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه وعنها- إلى بيت رسول الله ﷺ، فإذا امرأة من الأنصار(١٣) حاجتها كحاجة زينب. تقول: فخرج علينا بلال، فقلنا: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وأيتام في حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن، فدخل بلال فسأله، فقال ﷺ: «من هما» قال: امرأة من الأنصار وزينب، قال: «أي الزيانب ؟» قال بلال: امرأة عبد الله، فقال ﷺ: «لهما أجران، أجر القرابة، وأجر الصدقة»(١٤).

المرأة الصالحة.. وأكل الحلال

هذه عمرة بنت الحارث الخزاعية أخت أم المؤمنين جويرية- رضي اللَّه عنها- تحدِّث عمرة حديثًا عن رسول الله ﷺ، قال: «الدنيا خضرة حلوة، فمن أصاب منها من شيء من حِلِّهِ بُورك له فيه، ورُبَّ متخوض في مال الله (أي يخوض فيه بأكله حرامًا) ومال رسوله، له النار يوم القيامة»(١٥).

فالعاقلة التي تأكل من حلال وتوصي زوجها كلما خرج من البيت وتقول له: اتق الله فينا ولا تكسب إلا من حلال ولا تطعمنا إلا من حلال، فكل جسم نبت من سُحت فالنار أولى به، ومعاذ اللَّه.

والله ولي التوفيق.

ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟

إعداد / عبده الأقرع

الحمد لله الذي وعد على مقابلة الإساءة بالإحسان خير الجزاء، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الرسل وسيد الأنبياء، أما بعد:

فإنَّ العيد في الإسلام - أيها الإخوةُ غبطةٌ في الدِّين والطاعة، وبهجةٌ في الدنيا والحياة، ومظهر القوة والإخاء.

وقد قيل: من أراد معرفة أخلاق الأمة فليراقبْها في أعيادها، إذ تنطلقُ فيه السجايا على فطرتها، وتبرزُ العواطفُ والميولُ والعاداتُ على حقيقتها، والمجتمعُ السعيدُ الصالحُ هو الذي تسمو أخلاقُه في العيد إلى أرفع ذروة، وتمتدُّ فيه مشاعرُ الإخاءِ إلى أبعد مدى.

فالإسلام يريد للمسلمين أن يحيوا سعداء في الدنيا قبل سعادتهم في الآخرة، ومن أعظم أسباب سعادة الدنيا أن تسودهم المحبة، وتنتشر بينهم المودة حتى يكون المجتمع كله على قلب رجل واحد، كما قال رسول الله ﷺ: «مثلُ المؤمنينَ في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى». [مختصر مسلم ١٧٧٤].

ولكن الناظر المتأمل في واقعنا اليوم يجد أنه قد غلب الجفاء، واستحكمت القطيعة، لأتفه الأسباب، فأذهبت الودّ والصفاء، وأدى ذلك إلى الشِّقاق والمرافعات، وعمَّت الأَثَرةُ والأنانية وحبُّ الذات..

أهذه تعاليمُ الأُخوةِ الإسلامية الصادقة؟ شقاق بين الأخ وأخيه، والابن وأبيه، والزوج وزوجه، والجار وجاره، والرَّجل وصهره، تُرى ما سبب هذا الوباء؟

ربما كان السبب الأول عصيان الرحمن، وطاعة الشيطان، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. ومن عداوته- لعنه اللهُ - أنه يغيظُهُ ما يكون عليه المسلمون من الأُخوةِ والأُلفةِ والمحبةِ والمودَّة، فهو يسعى جاهدًا لتفريقِ جمعهم وإيقاع العداوة بينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٩١]. وقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم».
[مسلم ٢٨١٢/٢١٦٦/٤].

أي: في الخلاف والشرور والعداوة والبغضاء بينهم حتى تكون من ذلك الفتن العظيمة والخطوبُ الجسيمة.

عن أبي ثعلبةَ الخشنيِّ قال: كان الناسُ إذا نزلوا منزلاً تفرّقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ تفرقكُم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فلم ينزلوا بعدَ ذلك منزلاً إلا انضمَّ بعضُهم إلى

بعض، حتى يقال: لو بُسط عليهم ثوبٌ لَعَمَّهُمْ. [صحيح أبي داود: ٢٢٨٨].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ إبليسَ يضعُ عرشَهُ على الماءِ ثُمَّ يبعث سراياه فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً يجيءُ أحدُهم، فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا، قال: ثم يجيءُ أحدهم، فيقولُ: ما تركتُهُ حتَّى فرقتُ بينه وبين امرأته، قال: فيُدنيه منه ويقولُ: نِعْمَ أنتَ». [مسلم: ٢٨١٣].

وهذا نبي الله يوسف عليه السلام، قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فمن خطوات الشيطان إحداث القطيعة بين المسلمين، وكثيرون أولئك الذين يتبعون خطوات الشيطان، فيهجرون إخوانهم المسلمين لأسباب غير شرعية، إما لخلاف مادي، أو سوء ظنّ،

وتستمر القطيعة دهرًا، وقد يحلف ألا يكلمه، وينذر ألا يدخل بيته، وإذا رآه في طريق أعرض عنه، وإذا لقيه في مجلس تخطاه ولم يصافحه، وهذا من أسباب الوهن في المجتمع الإسلامي، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، لأن هذا العمل أذى للمسلم، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إذا ضَعُفَ الوازعُ الديني تجرأَ المرءُ على الاستخفافِ بالمحرمات، وقلَّ عنده احترامُ الناسِ، لذا كان الحكم الشرعي حاسمًا والوعيد شديدًا، قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرُ أخاهُ فوق ثلاثٍ، فمن هَجَرَ فوق ثلاثٍ فمَاتَ دَخَلَ النارَ». [صحيح: أبي داود (٤١٠٦)].

وقال ﷺ: «مَنْ هَجَرَ أخاه سنةً كسفكِ دمه». [صحيح أبي داود ٤٩١٥].

وحسبك من آثار القطيعة بين المسلمين الحرمان من مغفرة الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: «تُعرضُ الأعمالُ في كلِّ اثنين وخميس، فيغفرُ الله لكلِّ امرئٍ لا يشركُ بالله شيئًا، إلاَّ امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقول: اتركُوا هذين حتى يصطلحا») [مسلم ٢٥٦٥].

وقال ﷺ: «يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمُشركٍ أو مُشاحنٍ». [صحيح الترغيب ٢٧٦٧].

ولذلك وصف رسول الله ﷺ خير الرَّجلين بأنه الذي يبدأ بالصلة وقطع الخصومة، فقال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ، يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأُ بالسلام». وقال ﷺ: «لا يحلُّ لمؤمن أن يهجر مؤمنًا

فوق ثلاثٍ، فإن مرت به ثلاثٌ فليلقه فليسلم عليه، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يُرد عليه فقد باءَ بالإثم وخرجَ المسلم من الهجرةِ».
[صحيح الترغيب ٢٧٥٧].

فاصطلحوا أيُّها المتشاحنون، وتواصلوا أيها المتقاطعون، وأفيضوا جميعًا إلى ظلال المحبة والسلام والتَّعاون والأُخوة والوئام، تُحققوا ما تصبون إليه من رُشدٍ وخيرٍ، في دُنياكم وأُخراكم، إذًا لابد من العفو عن الزلات، والغضِّ عن الهفوات، ويبادر كلُ متشاحنَين إلى التسامح والصفاء، فإن كل إساءة تقابل بالإحسان سوف يكون له الأثر الطيب في محو أثرها، ومعالجة ما أحدثته من صدع وجفاء، من أجل ذلك أمر رب العزة سبحانه باتباع السيئة الحسنة فقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

والمعنى: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك ومحبتك حتى يصير كأنه ولي لك حميم، ومقابلة السيئة بالحسنة مرتبة عظيمة لا يرتقي إليها من عباد الله إلا من امتلك زمام نفسه ؛ إذ فيها خيره وسعادته في العاجلة والآجلة وصلاح مجتمعه.

فمن خالف هواه وأخذ بتوجيه مولاه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فقد فاز وأَنْجَحَ، وفي جعل أجر العافي على الله، مما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحبّ أن يعفو الله عنه، فَلْيعفُ عنهم، وكما يحبّ أن يسامحه الله فليسامحهم، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فمن عفا، عفا الله عنه، ومن صفح، صفح عنه، ومن عامل الله بما يحب، وعامل عباده بما يحبون، نال محبة الله، ومحبة عباده، وتلك سعادة يرجوها كل من عاش على الغبراء في قطع مرحلة الحياة.

لذا لا يرتقي إلى هذه المرتبة العظيمة إلا من صبر على كظم الغيظ وقابل الإساءة بالإحسان: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، والعفو عند المقدرة من شيم الرَّجل الكريم، قال الله تعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه السلام وإخوته: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١-٩٢]، والعفو عن المسيئ عزة، قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله عز وجل».
[مسلم ٢٥٨٨ باب استحباب العفو والتواضع].

وحسبُ العافي قول النبي ﷺ: «من كظم غيظًا، وهو قادرٌ على أن يُنْفذَه، دعاهُ الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيره من الحور العين ما شاء».

[أبو داود ٤٧٧٧، وهو في صحيح الجامع ٦٥١٨].

فهل أنتم منتهون أيها المتخاصمون ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : «ما توادَّ اثنانِ في الله فيُفرِّق بينهما إلا بذنب يُحدثهُ أحدهما».

[صحيح الجامع ٥٦٠٣].

نسأل الله أن يؤلِّف بين قلوبنا، وأن يُصلح ذات بيننا، وأن يهدينا سُبل السلام.



إعداد / على حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص لوجودها في كتب المغازي والسير ومما ساعد على انتشار هذه القصة ورودها في كتاب «الرحيق المختوم» الحائز على الجائزة الأولى لرابطة العالم الإسلامي في «المؤتمر الإسلامي الأول» للسيرة النبوية الشريفة الذي عقد في كراتشي في شهر شعبان سنة ١٣٩٨هـ وفيه العديد من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والقصص الواهية مثل قصة «ثعبان الغار» فهو في أشد الحاجة إلى التخريج والتحقيق وسبحان ربي لا يضل ربي ولا ينسى، وإلى القارئ الكريم تخريج هذه القصة وتحقيقها:

أولاً: متن القصة

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي حليف بني عبد شمس بن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً - وهو أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع - من حطب، فقال: «قاتل بهذا يا عكاشة».

فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه، فعاد سيفًا في يده طويل القامة، شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الردة وهو عنده». اهـ.

ثانيًا: التخريج

هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة له طريقان:

الأول: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣: ٩٨) قال: أخبرنا أبو عبد الله قال: أخبرنا أبو العباس قال: أخبرنا أحمد قال: أخبرنا يونس عن ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرًا قال: «وعكاشة بن محصن وهو الذي قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ﷺ». القصة.

الثاني: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٩٩/٣) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن أحمد الأصبهاني قال: أخبرنا الحسن بن الجهم قال: أخبرنا الحسين بن الفرج قال: أخبرنا الواقدي قال: فحدثني عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه عن عمته قالت: قال عكاشة بن محصن: «انقطع سيفي يوم بدر» القصة.

ثالثًا: التحقيق

الطريق الأول: سنده تالف لوجود سقط من بعد ابن إسحاق، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٤٤/٢): «محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر، المطلبي مولاهم، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة، مات سنة خمسين ومائة». اهـ.

قلت: يتبين من كلام الحافظ أن ابن إسحاق: بالنسبة للاعتقاد: رمي بالتشيع والقدر، وبالنسبة للإسناد: مدلس من صغار الخامسة.

١- أما عن التدليس فقد أورده الحافظ ابن حجر في كتابه «طبقات المدلسين» في المرتبة الرابعة من المدلسين رقم (٩) وقال: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: صاحب المغازي صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم». اهـ.

أ- قلت: والمرتبة الرابعة من المدلسين بينها الحافظ في مقدمة طبقات المدلسين فقال: «من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم عن الضعفاء والمجاهيل». اهـ.

ب- فإذا كان هذا هو حال ابن إسحاق إذا روى حديثًا بإسناده فلا يقبل إذا عنعن لكثرة تدليسه عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم فكيف به إذا روى حديثًا أسقط إسناده كالحديث الذي جاءت به هذه القصة فطريقه مظلم لسقوط سنده.

جـ- نقل الحافظ في «التهذيب» (٣٧/٩) عن يعقوب بن شيبة قال: سمعت ابن نمير يقول: «إذا حدث ابن إسحاق عمَّن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق، وإنما أُتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة». اهـ.

ب- قلت: لقد بيَّنا أن ابن إسحاق في المرتبة الرابعة بالنسبة للمدلسين، أما عن طبقة ابن إسحاق بالنسبة لطبقات الرواة فهو كما بينا آنفًا أنه من صغار الخامسة.

جـ- قال الحافظ في «مقدمة التقريب» (٥/١): «الخامسة: هي الطبقة الصغرى من التابعين الذين رأوا الواحد والاثنين ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة».

د- قلت هذا حال الطبقة الخامسة من رواة الحديث وتبين أنها الطبقة الصغرى من التابعين، ولقد بينا أن ابن إسحاق من صغار الخامسة، إذن مما قدمنا يتبين أن ابن إسحاق من صغار الطبقة الصغرى من التابعين وبهذا لم يثبت له سماع أحد من صحابة النبي ﷺ.

ويظهر من هذا التحليل ظلمة هذا الطريق التالف بإسقاط الإسناد من بعد ابن إسحاق.

هـ- لذلك نجد أن حديث القصة أورده ابن هشام في «السيرة» (٣٠١/٢) (ح٧٦٩) عن ابن إسحاق بغير إسناد.

و- وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٨٧/٣) عن ابن إسحاق بغير إسناد.

ويخشى أن تكون هذه القصة التي أخرجها البيهقي بسنده عن ابن إسحاق وإسقاط السند من بعد ابن إسحاق أن يكون ابن إسحاق رواها عن محمد بن السائب الكلبي فأسقط السند لأن الكلبي كذاب.

ففي «تهذيب التهذيب» (٣٨/٩): «قدم ابن إسحاق بغداد فكان لا يبالي عمن يحكي عن الكلبي وغيره». اهـ.

قلت: وقد ثبت في «تهذيب الكمال» (٥٦٤٤/٧٢/١٦) أن ابن إسحاق روى عن محمد بن السائب الكلبي.

وثبت أيضًا في «تهذيب الكمال» (٨٥٢٣/٢٩٥/١٦) أن محمد بن السائب الكلبي روى عنه محمد بن إسحاق بن يسار.

ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٥٧٤/٥٥٦/٣) عن ابن معين قال: «الكلبي ليس بثقة»، وقال الجوزجاني وغيره: «الكلبي كذاب»، وقال الدارقطني وجماعة: «الكلبي متروك».

وفوق ذلك ما بيناه آنفًا بأن ابن إسحاق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم وبينا أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة، وبإسقاط الإسناد تصبح القصة باطلة والطريق إلى المتن مظلم.

الطريق الثاني

هذا الطريق الثاني الذي جاءت به القصة أيضًا طريق تالف وعلته الواقدي.

١- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٩٩٣/٦٦٢/٣) قال: «محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي المدني القاضي صاحب التصانيف، قال أحمد بن حنبل: هو كذاب يقلب الأحاديث».

٢- قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٤١/٦) (١٧١٩/٩٨): سمعت عبد الملك بن محمد يقول: ثنا عبد الوهاب بن الفرات الهمداني سألت يحيى بن معين عن الواقدي فقال: «ليس بثقة».

حدثنا ابن حماد، حدثنا معاوية عن يحيى قال: محمد بن عمر بن واقد ليس بشيء، قال معاوية: قال لي أحمد بن حنبل: هو كذاب».

٣- قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢١/١/٤): «سألت أبي عن محمد بن عمر الواقدي المدني فقال: متروك الحديث».

٤- قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سلمة النيسابوري حدثنا إسحاق بن منصور قال: قال أحمد بن حنبل: «كان الواقدي يقلب الأحاديث، يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ونحو

هذا». قال إسحاق بن راهويه: كما وصف وأشد لأنه عندي ممن يضع الحديث.

٥- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (ت٣٣٤): «محمد بن عمر الواقدي: قاضي بغداد «متروك الحديث».

٦- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (ت٥٣١): «متروك الحديث».

قلت: ولقد بين الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩) معنى هذا المصطلح عند النسائي فقال: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

بهذا التحليل يتبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن القصة من هذا الطريق واهية لما فيه من الكذابين أو المتروكين.

وقد يتوهم من لا دراية له أن القصة إذا جاءت من طريق آخر قوى بعضها بعضًا كما حدث لمن اغتر بكثرة طرق قصة شرب بول النبي وغفل عن القاعدة التي أوردها الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣): «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

وكم زلّت أقدام نتيجة الجهل بهذه القاعدة والجهل بمعرفة درجة ضعف الراوي فراح يناطح الصخور ليصحح المكذوب الموضوع.

بهذا يتبين أن هذه القصة واهية، وأن الطريق الثاني يزيد القصة وهنًا على وهن.

رابعًا: بدائل صحيحة لدلائل النبوة في غزوة بدر

القصة الأولى: أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (ح١٧٧٩) - كتاب «الجهاد والسير»- باب «غزوة بدر» قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الغِماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم رَوَايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم. أنا أخبركم. هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضًا ضربوه، ورسول الله ﷺ قائم يصلي فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان»، قال: ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا، قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ». اهـ.

قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» لهذا الحديث: «وفيه معجزتان من أعلام النبوة إحداهما: إخباره ﷺ بمصرع جبابرتهم فلم يتعد أحدهم مصرعه.

والثانية: إخباره ﷺ بأن الغلام الذي كانوا يضربونه يصدق إذا تركوه ويكذب إذا ضربوه وكان كذلك في نفس الأمر.

وقوله: «فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ» أي: تباعد». اهـ.

قُلْتُ: والحديث الذي جاءت به قصة هاتين المعجزتين أخرجه أيضًا الإمام أحمد في «المسند» ح(١٣٢٩٥، ١٣٧٠٥)، وأبو داود في «السنن» (٢٦٨١)، وابن حبان (ح٤٧٢٢).

لذلك أخرجه الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٤٦، ٤٧، ٤٨).

القصة الثانية: وفيها إجابة الله عز وجل دعوة رسول الله ﷺ على كل من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم من الكفرة ببدر.

فقد أخرج البخاري في صحيحه (ح٢٤٠، ٥٢٠، ٢٩٣٤، ٣١٨٥، ٣٨٥٤، ٣٩٦٠)، ومسلم في صحيحه (ح١٧٩٤)، وأحمد (٣٧٢٢، ٣٧٢٣، ٣٧٧٥، ٣٩٦٢)، والنسائي في «المجتبى» (ح٣٠٦)، وفي «الكبرى» (ح٨٦٦٨، ٨٦٦٩)، وابن أبي شيبة (١٤/٢٩٨)، والطيالسي (ح٣٢٥)، وابن حبان (ح٦٥٧٠)، وابن خزيمة (ح٧٨٥)، وأبو يعلى (ح٥٣١٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٨٢)، واللفظ للإمام مسلم حيث قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي، حدثنا عبد الرحيم (يعني ابن سليمان) عن زكريا عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأَوْدي، عن ابن

مسعود. قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سَلاَ جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر: لو كانت لي مَنَعةٌ طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثًا، وإذا سأل، سأل ثلاثًا ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرَّات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعَيْط (وذكر السابع ولم أحفظه)، فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سُحِبوا إلى القَلِيب، قليب بدر». اهـ.

◻◻ التحقيق حول الأسماء التي جاءت في القصة ◻◻

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» لحديث القصة:

١- «الوليد بن عقبة بالقاف، اتفق العلماء على أنه غلط».

٢- وصوابه: الوليد بن عتبة بالتاء كما ذكره مسلم في رواية أبي بكر بن أبي شيبة بعد هذا وقد ذكره البخاري في «صحيحه» وغيره من أئمة الحديث على الصواب.

٣- قال العلماء: والوليد بن عقبة بالقاف هو ابن أبي معيط، ولم يكن ذلك الوقت موجودًا، أو كان طفلاً صغيرًا جدًا فقد أتى به النبي ﷺ يوم الفتح وهو قد ناهز الاحتلام ليمسح على رأسه.

٤- قوله: «وذكر السابع ولم أحفظه». وقد وقع في رواية البخاري تسمية السابع أنه عمارة بن الوليد. اهـ.

قلت: ورواية البخاري التي وقع فيها تسمية السابع أنه عمارة بن الوليد هي في «صحيحه» (ح٥٢٠) من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود القصة وفيها فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش». ثم سمى: «اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد». قال عبد الله: فوالله رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القليب لعنة».

قلت: يتبين من رواية البخاري:

١- أن الوليد بن عقبة بالقاف غلط وصوابه الوليد بن عتبة بالتاء.

٢- والسابع الذي لم تبينه رواية مسلم وقع في رواية البخاري تسميته أنه عمارة بن الوليد.

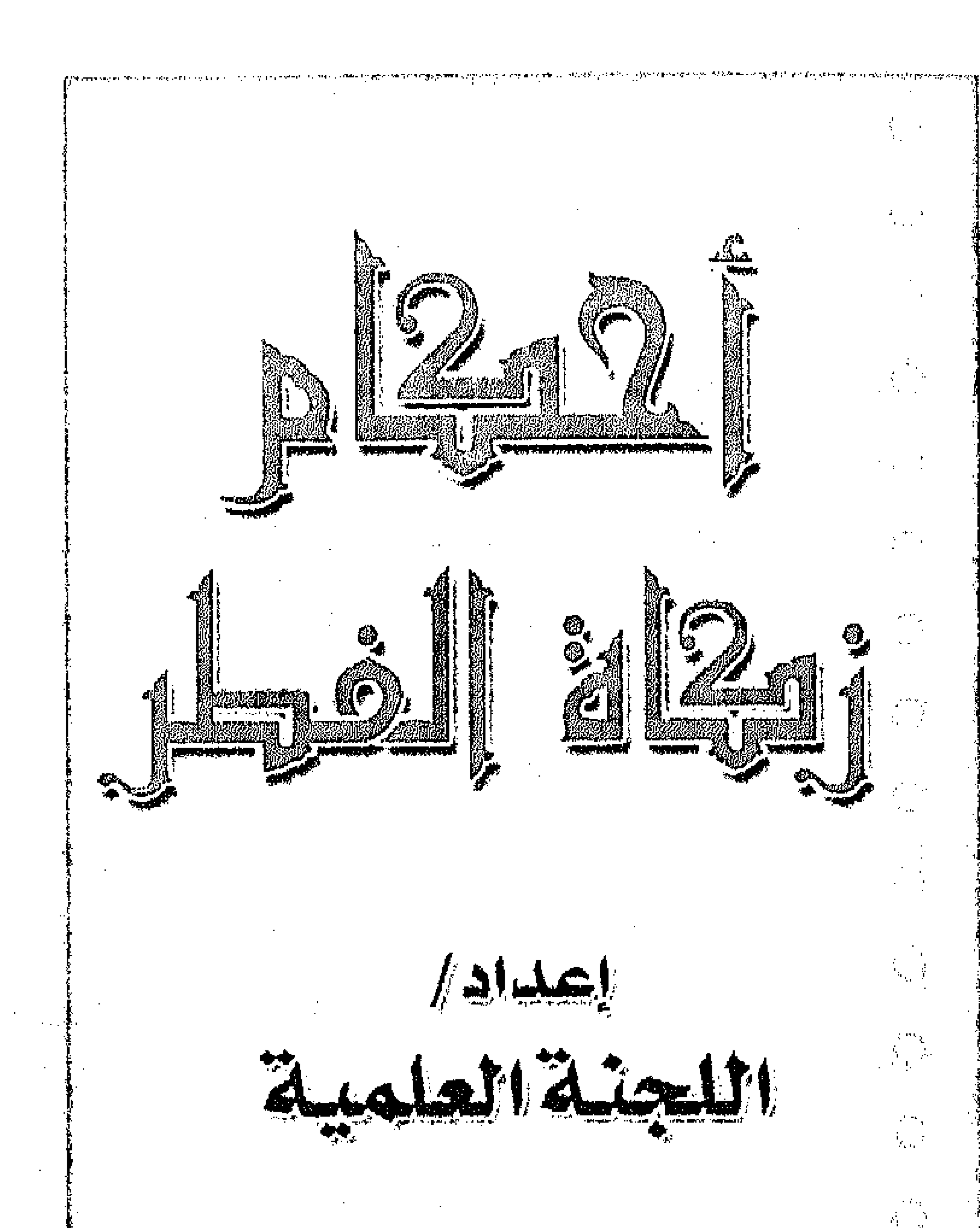
فائدة:

أ- طرق حديث هذه القصة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله الكوفي عن ابن مسعود كما في «تحفة الأشراف» للإمام المزي (ح٩٤٨٤).

ب- وأبو إسحاق هو السبيعي كذا في «تهذيب الكمال» (١٤/٢٦٥/٤٩٨٤)، وهو عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين».

المرتبة الثالثة رقم (٢٥) وقال: «مشهور بالتدليس»، والمرتبة الثالثة قال الحافظ في المقدمة: «من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا مما صرحوا فيه بالسماع». والرواية التي جاءت بها هذه القصة في صحيح مسلم لم يصرح فيها بالسماع عن عمرو بن ميمون وعالج هذه العلة الإمام البخاري في صحيحه الحديث رقم (٢٤٠) حيث أفادت روايته التصريح بالتحديث لأبي إسحاق عن عمرو بن ميمون وقرنها برواية عبدان تقوية لها لذا نجد في «هدى الساري» (ص٥١٣) أن الإمام مسلم بن الحجاج جاء إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري فقبله بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله». وبهذا التحقيق تصبح هذه صحيحة في أعلى درجات الصحة، وهذه القصص التي أوردنا آنفًا بدائل صحيحة لدلائل النبوة في غزوة بدر وهي على سبيل المثال لا الحصر ليتمسك بها الداعية ويتخلص من القصص الواهية.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه وهو وحده من وراء القصد.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

في هذا المقال نبين جملة من الأحكام التي تتعلق بزكاة الفطر، فنقول مستعينين بالله عز وجل:

يقال: زكاة الفطر، وصدقة الفطر، ويقال للمُخْرَج فطرة.

حكمها: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة». [رواه البخاري].

وصدقة الفطر هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرةً لنفسه، وجبرًا لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه، لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث وطعمةً للمساكين». [رواه أبو داود بسند جيد].

وقد شرعت زكاة الفطر في شعبان من السنة الثانية من الهجرة.

وهي تفترق عن زكاة المال، فالزكاةُ هي صدقةُ المال، والفطر والكفارةُ صدقة الأبدان.

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - أن صدقة الفطر فريضة فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين وما فرضه رسولُ الله ﷺ أو أمر به فله حكم ما فرضه الله تعالى وأمر به.

قال الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

على من تجب الزكاة

وهي فريضة على الكبير والصغير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين ؛ لحديث ابن عمر السابق.

ولا تجب عن الحمل الذي في البطن إلا أن يُتطوع بها فلا بأس، فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل، ويخرجها المسلم عن نفسه وكذلك عمن تلزمه مؤونته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها عن أنفسهم لأنهم المخاطبون بها أصلاً.

ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته، فإن لم يجد إلا أقل من صاع أخرجه لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقول النبي ﷺ : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم». [متفق عليه].

حكمة الزكاة

وأما حكمتها فظاهرة، ففيها إحسان إلى الفقراء وكفٌّ لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم به ويكون عيدًا للجميع.

وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة، وفيها تطهير الصائم مما يحصل في

صيامه من نقص ولغو وإثم.

وفيها إظهار شكر نعمة الله بإتمام صيامه شهر رمضان وقيامه وفعل ما يتيسر من الأعمال الصالحة.

جنس الواجب في زكاة الفطر

وأما جنس الواجب في زكاة الفطر فهو طعام الآدميين من تمر أو بُر أو أرز أو زبيب أو أقط (وهو اللبن الذي لم تنزع زبدته) أو غيرها من طعام بني آدم.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي ﷺ صاعًا من طعامنا ؛ الشعير والزبيب والأقط والتمر».

[رواه البخاري].

ولا يجزئ إخراج القيمة عند جمهور العلماء ؛ لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ ؛ لأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنه حيث كانوا يخرجونها صاعًا من طعام، وقد قال النبي ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».

ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس المعين كما لا يجزئ إخراجها في غير الوقت المعين، ولأن النبي ﷺ عيَّنها من أجناس مختلفة، وقيَمُها مختلفة غالبًا، فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعًا مما يقابل بقيمته من الأجناس الأخرى.

ولأن إخراج القيمة يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفية، فإن إخراجها صاعًا من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير يشاهدون كيْلها وتوزيعها ويتبادلونها بينهم، بخلاف ما لو كانت دراهم يخرجها الإنسان خفية بينه وبين الآخذ.

مقدار زكاة الفطر ووقت الوجوب

وأما مقدار الفطرة فهو صاع بصاع النبي ﷺ وهو عبارة عن كيلوين وأربعين جرامًا من البُرِّ توضع في إناء بقدرها بحيث تملؤها ثم تكيل به.

وأما وقت وجوب زكاة الفطر فهو غروب الشمس ليلة العيد.

فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا.

وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب، وإن مات بعده ولو بدقائق وجب إخراج الزكاة عنه، ولو وُلد مولود بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب، لكن يُسن إخراجها كما سبق، وإن وُلد قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج الصدقة عنه، لأنه أدرك بعض الوقت من رمضان.

وإنما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان وهي مضافة إلى ذلك فإنه يقال: زكاة الفطر من رمضان فكان مناط الحكم ذلك الوقت.

وقت إخراجها

وأما وقت إخراجها فوقتان: وقت فضيلة، ووقت جواز.

١- فأما وقت الفضيلة: فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج في عهد النبي ﷺ يوم الفطر صاعًا من طعام»، وفيه أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ : «أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة». [رواه مسلم وغيره].

وقال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: يقدم الرجلُ زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج زكاة الفطر.

٢- وأما وقت الجواز: فهو قَبْل العيد بيوم أو يومين، ففي صحيح البخاري عن نافع قال: كان ابنُ عمر يعطي عن الصغير والكبير، حتى إن كان يعطي عن بَنِيّ (أولاد نافع الراوي عن ابن عمر)، وكان ابن عمر يعطي الذين يقبلونها وكانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين)، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرها عن

صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

أما إن أخرها لعذر فلا بأس، مثل أن يجيء العيد وليس عنده من يدفع إليه، أو يأتي خبر بثبوت العيد فجأة بحيث لا يتمكن من إخراجها قبل الصلاة أو يكون معتمدًا على شخص في إخراجها فينسى أن يخرجها قبل الصلاة فلا بأس أن يخرجها ولو بعد العيد لأنه معذور في ذلك.

والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة، فلو نواها لشخص ولم يجده ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها.

جهة إخراجها

وأما جهة إخراجها فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين لا سيما إن كان مكانًا فاضلاً كمكة والمدينة أو كان فقراؤه أشد حاجة، فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه أو كان لا يعرف المستحقين فيه، وكل من يدفعها عنه في مكان فيه مستحق.

المستحقون لزكاة الفطر

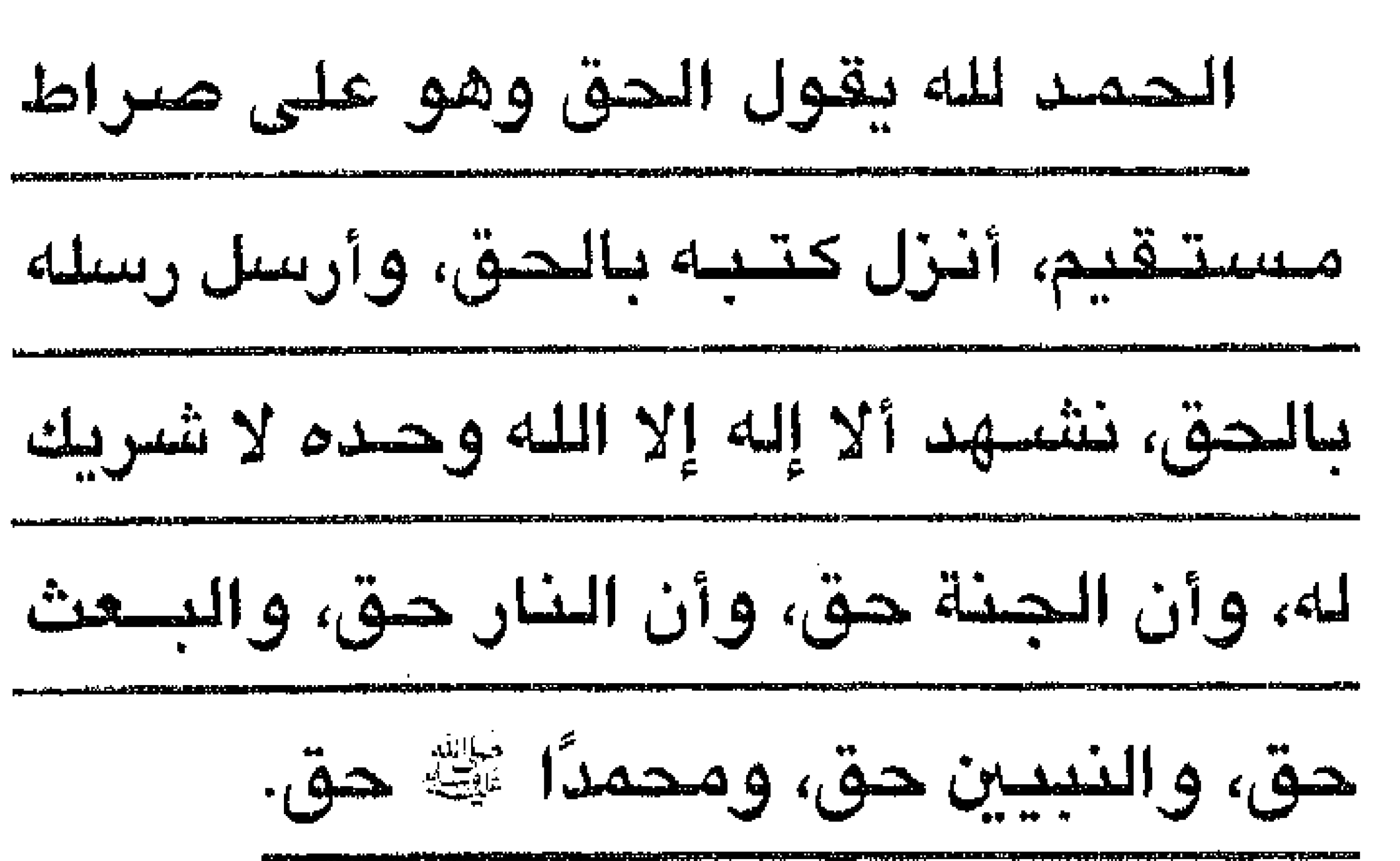
والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء ومَنْ عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها فيُعطَوْنَ منها بقدر حاجتهم.

ويجوز توزيع زكاة الفطر على أكثر من فقير ودفعُ عدد من الزكاة إلى مسكين واحد، لأن النبي ﷺ قدَّر الواجب ولم يقدر من يُدفَع إليه، وعلى هذا لو جمع جماعة فطرهم في وعاء واحد بعد كيله وصاروا يدفعون منه بلا كيل ثان أجزأهم ذلك.

ويجوز للفقير إذا أخذ الفطرة من شخص أن يدفعها عن نفسه أو أحد من عائلته، إذا كالها أو أخبره دافعها أنها كاملة ووثق بقوله.

والمسلم تلزمه الصدقة عن الوالدة الفقيرة والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم، وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج، والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم ويجوز صرفها للمسافرين المغتربين الذين لا مال لهم بأيديهم، أو الداخلين في الإسلام الذين لا يجدون عملاً يعيشون منه.

والحمد لله رب العالمين.



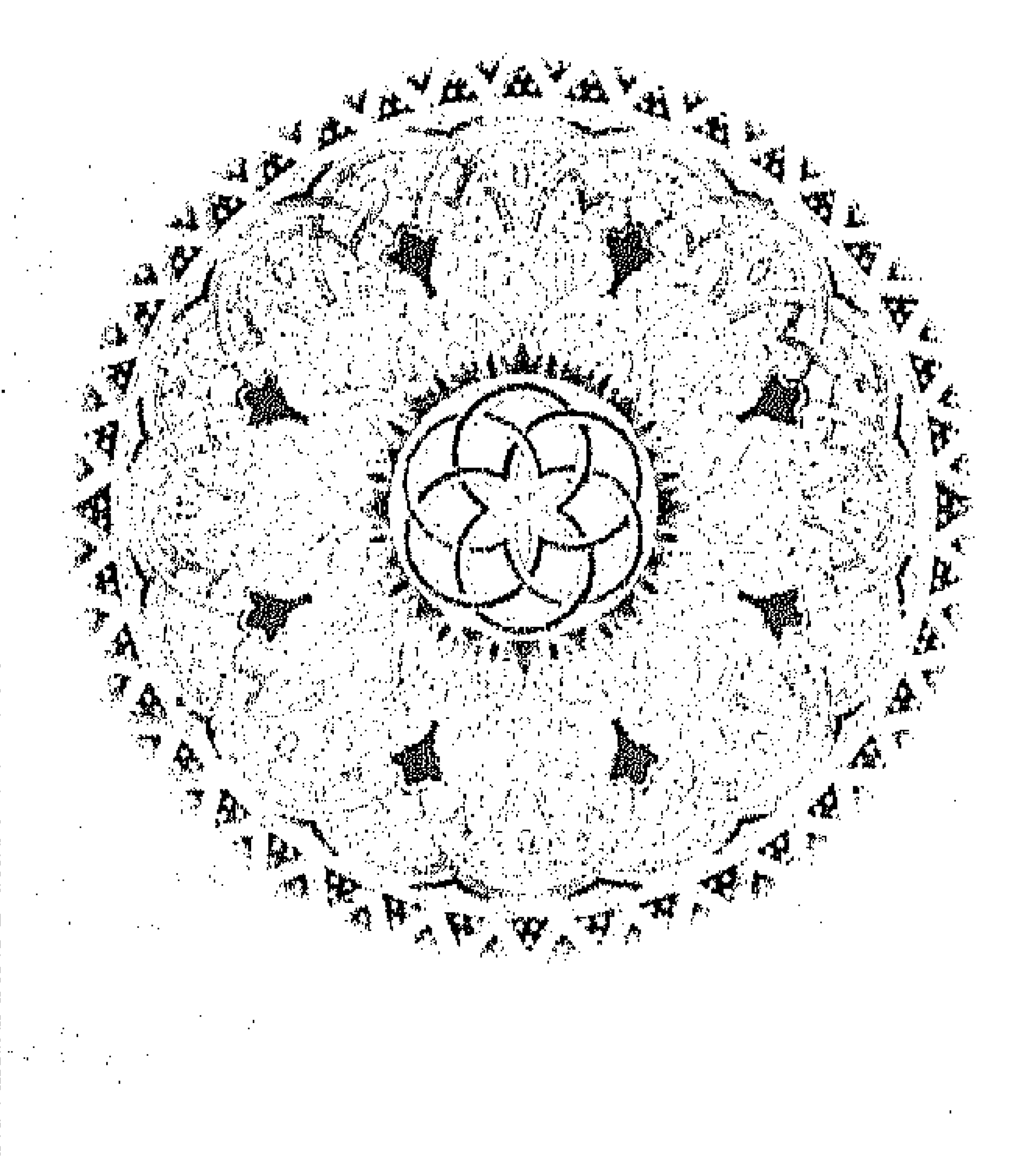


القصة في كتاب الله

لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

الحلقة الثالثة

إعداد /
عبد الرازق السيد عيد





الحمد لله يقول الحق وهو على صراط مستقيم، أنزل كتبه بالحق، وأرسل رسله بالحق، نشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن الجنة حق، وأن النار حق، والبعث حق، والنبيين حق، ومحمدًا ﷺ حق.

أما بعد: أخي القارئ الكريم، فقد انتهينا في اللقاء السابق من ذكر قصة السبعين المختارين لميقات الله مع موسى عليه السلام ليعتذروا نيابة عن قومهم، لكن الحسّ المادي الغليظ حجبهم عن مسارب الغيب فأعلنوها في وقاحة متناهية: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ إنها الطبيعة القاسية التي لا تؤمن إلا بالمحسوس حكمت تصرفاتهم وانطلقت في جفاء على ألسنتهم فأعلنوا هذا القبيح من القول فعاقبهم الله بالصاعقة فارتجفت الأرض من تحت أقدامهم وماتوا جميعًا، ثم بعثهم الله من بعد موتهم آية لهم وعبرة لعلهم يوقنون بالغيب والبعث بعد الموت، ولعلهم يشكرون الله على نعمه السابغة عليهم.

وهذا موعدنا معك أخي الكريم لنتأمل بعض الفوائد والدروس؛ عسى الله أن ينفعني وإياك بها في الدنيا ويوم يقوم الحساب، وبيانها كما يأتي:

أولاً: من سنن الله الكونية صَرْفُ المتكبرين عن تدبر آيات الله المتلوة والمنظورة، المعنوية والمادية: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ

فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، وهذا جزاء من جنس العمل فهم انصرفوا لتكبرهم فصرفهم عقوبة لهم عن الفهم والعمل فلا خير فيهم في الدنيا ولا في الآخرة، وقد بين ربنا عز وجل ذلك في كتابه في أكثر من موضع نذكر منها موضعًا واحدًا، قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

فانظر رعاك الله كيف رتَّب المولى عز وجل ميراث الجنة في الآخرة على صلاح الدنيا كما بين سبب صلاح الدنيا على عدم العلو في الأرض بغير الحق وهو الفساد، ثم كيف قرن التكبر في الارض بالفساد فهما قرينان، وقد نعت الله اليهود بهذه السمات التي استجمعت كل عناصر الفساد، فتأمل معي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

انظر كيف وصل بهم التكبر إلى تجاوز الحد مع الله - سبحانه وتعالى - ووصفه بما لا يليق، وهو سبحانه أهل للثناء والمجد وموصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص فعاقبهم الله سبحانه بكفرهم وتكبرهم وصرفهم عن الانتفاع بآياته ومن أعظمها ما جاء به محمد ﷺ لم يتبعوه وهو على الحق وجاء يدعوهم وغيرهم إلى الحق، بل كما أخبر الله عنهم زادهم ما أُنزل على محمد طغيانًا لأنهم لا يريدون الله والدار الآخرة بل يريدون الدنيا، ولأنهم كما أخبر الله عنهم: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾، فدينهم وديدنهم الإفساد في الأرض. وهذه الأوصاف اتصف بها كثير منهم إلا من رحم الله ومات على الحق قبل بعثة محمد وعاصر بعثة محمد فأسلم ونجا بإسلامه كعبد الله بن سلام ومن آمن معه، وقد بين الله لهم أن أهل الفلاح والفوز والرحمة في الدنيا والآخرة هم أمة محمد، وإذا عدنا إلى سياق الآيات في القصة التي بين أيدينا من سورة الأعراف نجد أن موسى عليه السلام عندما رأى ما حل بقومه من الصاعقة والرجفة فزع إلى الله متوسلاً إليه راجيًا منه الرحمة والمغفرة فجاءته الإجابة كما يلي: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فهنا كما تلاحظ قال الله لموسى: ﴿عَذَابِي﴾ أي: الصاعقة أو الرجفة التي أصابت قومك ﴿أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي﴾ العامة وسعت الجميع في الدنيا، أما رحمتي الخاصة التي هي سبب النجاة في الدنيا والآخرة فهي من نصيب الذين يؤمنون بمحمد النبي الأمي الذي جاءت صفاته وصفات أتباعه في التوراة والإنجيل، ثم

ذكرت الآية الكريمة جانبًا من تلك الصفات والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، وفي الآية الكريمة إشادة بشرف أمة محمد وبيان منزلة من آمن به من العرب والعجم وتعريض بحال يهود المدينة الذين كفروا بهذا النبي الأمي كما هو موصوف عندهم وتحذيرهم من سلوك مسلك آبائهم في الكيد والعناد، وأنه لا سبيل إلى النجاة إلا باتباع محمد ﷺ وتصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ومؤازرته ونصره.

ثانيًا: إذا كان التكبر سبيل كل شر فإن التواضع سبيل كل خير، ولذلك جاء من أهم سمات الأمة المرحومة التواضع لله ولرسوله وللمؤمنين والعزة على الأعداء، واقرؤا إن شئتم: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. إلى آخر ما وصفهم الله به في هذه الآية وفي مواضع كثيرة يضيق المجال بذكرها، كما وردت آثار وأحاديث في صفات هذه الأمة الناجية لا يتسع المجال لها.

ثالثًا: قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله-: «فرق بين قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ »، وبين قول هؤلاء: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فموسى قال ذلك شوقًا إلى رؤية ربه، أما هؤلاء فقالوه تشككًا واشتراطًا جافيًا لسنا بمؤمنين إلا إذا رأينا الله جهرة. اهـ.

قُلْتُ: مع علمهم أن موسى - عليه السلام - لم ير الله وأن الله تجلى إلى الجبل فجعله دكًا وخر موسى صعقًا لأن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة، فهذا القول منهم والحال ما ذكر غاية الإثم والبهتان ومنتهى الكيد والعدوان، وإذا كان هذا حال الصفوة المختارة منهم فما حال العوام؟ وما حال من جاء من بعدهم ؟ يصدق عليهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

رابعًا: قال صاحب فتح القدير: «إنما عوقبوا بالصاعقة أو الرجفة لأنهم طلبوا ما لم يأذن به الله في الدنيا، أما في الآخرة فقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم، خلافًا لما ذهب إليه المعتزلة ومن تابعهم واعتمادهم على العقل في ذلك دعوى على شفا جرف هار، وقواعد عقلية لا يغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب». اهـ.

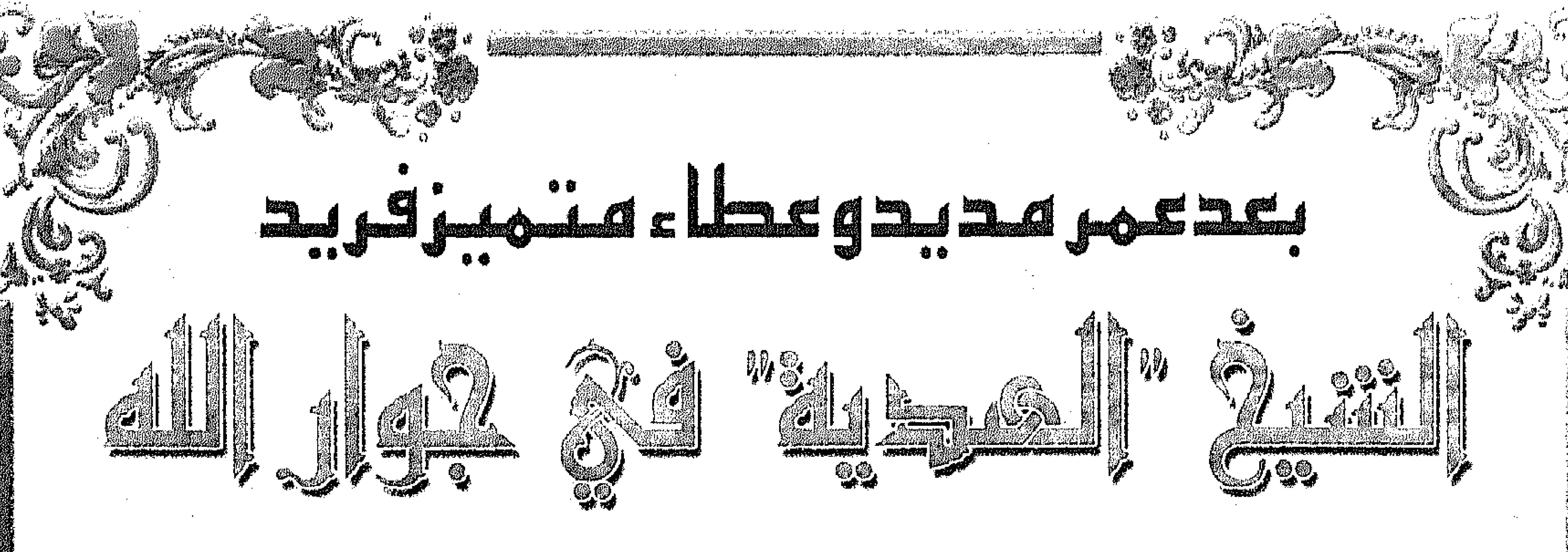
وقال: «لا ينبغي لمنصف أن يتمسك بتلك القواعد الكلامية التي وضعها المعتزلة في مقابلة النصوص الصريحة الواضحة». انتهى مع تصرف يسير من فتح القدير سورة الأعراف.

خامسًا: في الآيات دليل على قدرة الله المطلقة في إماتة من يشاء وإحياء من يشاء فهو سبحانه الفعال لما يريد.

سادسًا: في القصة دليل مادي ملموس على إمكانية البعث بعد الموت وقد تكرر مثل هذه المواضع في الذكر الحكيم، وقد يأتي بيانها في حينها (إن شاء الله).

سابعًا: علينا نحن أتباعَ النبي الأمي أن نشكر الله على منّته علينا ونعمته العظيمة، وحقيقة الشكر هو القيام بطاعة المنعم - سبحانه - إقرارًا بالقلب واعترافًا باللسان وعملاً بالأركان ومؤازرة ونصرة بصدق وإخلاص وتواضع.

اللهم إنا نسألك شكر نعمتك، ونعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك ومن جميع سخطك.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

في صباح يوم الأربعاء السابع من شهر رمضان لعام ١٤٢٨هـ، انتقل إلى جوار ربه ومولاه فضيلة الشيخ / محمد هاشم الهدية، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة في السودان، وبفقده - رحمه الله - فقدت أنصار السنة ركيزة من ركائز العمل الدعوي، حيث بذل الشيخ حياته في سبيل الدعوة إلى الله، كما شارك وساهم وكان له دور بارز في جميع الأنشطة السياسية والاجتماعية، وشارك في اتفاقية السلام الأخيرة بين جنوب السودان وشماله، وكان الجميع يرضى بقوله ويسلم له.

وقد ترأس الشيخ أنصار السنة في السودان لمدة خمسين عامًا تقريبًا، انتقلت الجماعة في عهده انتقالة كبيرة، حتى وصلت مراكزها إلى جميع أنحاء السودان، وقد عُرف الشيخ - رحمه الله - بمنهجه المعتدل، إلى جانب لينه وفقهه وكرمه، كان منزله مفتوحًا طوال اليوم للقاصدين، وكان ورعًا - رحمه الله-.

فارق الدنيا ولا يمتلك منها بيتًا، حج بيت الله مرات كثيرة، وقد ذكر عنه الدكتور طه عابدين أنه حج معه قبل عشر سنوات، فقال له الشيخ: هذه هي الحجة السابعة والثلاثون.

وقد اهتم الشيخ في دعوته بصورة خاصة بتحقيق توحيد الله تعالى ووجوب صرف العبادة له وحده دون سواه، كما تصدى لجميع فرق المبتدعة وبيَّن فساد منهجهم، حتى عرف كثير من شعب السودان حقيقة دعوة الأنبياء والمرسلين، وكان يتفقد بنفسه أحوال اليتامى والمساكين، وإذا أتاه مال لخاصته وزعه على المحتاجين.

وإني إذ أذكره بهذه الكلمات لأسأل الله جل ذكره أن يغفر له ويرحمه، وأن يعلي درجته، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كما أسأله سبحانه أن يجمعنا به في دار كرامته.

وبهذه المناسبة أبعث عزاء إخوانه في أنصار السنة المحمدية بمصر إلى جميع شعب السودان الشقيق، وإلى إخوان دربه في الدعوة إلى الله من أمثال فضيلة الشيخ / أبي زيد محمد حمزة، والشيخ عوض البلولة، وغيرهما، كما نتقدم إلى أسرته وأهل بيته بالعزاء، ونسأل الله عز وجل أن يلهمهم الصبر، وأن يعوضهم خيرًا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

الدكتور/



نائب الرئيس العام

باب التراجم

العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

١٣١١ - ١٤٠٧هـ
١٨٩٢ - ١٩٧٨م

الدعوة إلى الله في أقطار شتى وبلاد مختلفة

إعداد / فتحي أمين عثمان

اسمه: محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي نسبة إلى هلال، الجد الحادي عشر وكنيته أبو شكيب حيث سمى أول ولد له على اسم صديقه «الأمير شكيب أرسلان».

مولده: وُلد رحمه الله سنة ١٣١١/١٨٩٢ بقرية «النيضة القديمة» وهي من بوادي مدينة سلجماسة بالمغرب.

قُلتُ: وهذا العام الذي ولد فيه الشيخ هو نفس العام الذي ولد فيه العلامة محمد حامد الفقي رحمهما الله.

تعليمه: قرأ القرآن على والده وحفظه وهو ابن عشر سنين ثم جوده على الشيخ المقرئ أحمد بن صالح ثم لازم الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي وتفقه على يديه في علوم الشرع حتى صار ينيبه عنه في غيابه لإلقاء الدروس.

حصل على شهادة من جامع القرويين، ثم جاء إلى القاهرة ١٣٤٠هـ، فالتقى بالشيخ عبد الظاهر أبي السمح إمام الحرم المكي بعد ذلك والشيخ عبد الرزاق حمزة، وقد عمل معه بعد ذلك مدرسًا بالحرم المدني بالمدينة كما لقي الشيخ محمد رشيد رضا منشئ «المنار»، والشيخ محمد الرمالي وهو من أول من دعى إلى السلفية في مدينة دمياط، والشيخ محمد حامد الفقي مؤسس أنصار السنة.

حضر دروس القسم العالي بالأزهر ومكث بمصر سنة واحدة يدعو إلى عقيدة السلف، بعد أن كان صوفيًا تيجانيًا، ولهذا قصة نرجو أن يتسع المقام لذكرها.

ذهب إلى الهند لدراسة الحديث، وهناك أخذ يدرس الحديث والأدب العربي إلى أن أجازه شيخه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب كتاب «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي».

وفي عام ١٣٤٣هـ توجه إلى العراق وفي مدينة البصرة التقى بالعالم السلفي المحدث المحقق محمد بن أمين الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وهو غير العلامة المفسر الفقيه صاحب أضواء البيان، فزوجه ابنته وانتفع كثيرًا بمجالسته ومذاكراته، وأقام بالعراق ثلاث سنوات.

ثم توجه بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية فاقام بها في ضيافة الملك عبد العزيز، وذلك بعد أن أعطاه الشيخ رشيد رضا وصيته قال فيها: إن محمد تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيد من علمه.

وفي السعودية عين مراقبًا للمدرسين بالمسجد النبوي لمدة سنتين، ثم مدرسًا في المسجد الحرام والمعهد

السعودي لمدة سنة واحدة.

رحل إلى الهند وعين رئيسًا لأساتذة الأدب العربي في كلية «ندوة العلماء» «بلكنو» مدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك سافر إلى جنيف ونزل عند الزعيم المجاهد أمير البيان شكيب أرسلان، ولقد كانت لدى الدكتور تقي الدين رغبة في إتمام دراسته الجامعية، فتوسط له الأمير شكيب أرسلان عند صديق له من الألمان فعودلت شهادته الحاصل عليها من القيروان بالشهادة الثانوية وبها التحق بجامعة «بون» الألمانية، فتعلم اللغة الألمانية في عام واحد وعين محاضرًا في جامعة بون، كما شغل أثناء إقامته في ألمانيا وظيفة مشرف ومراجع لغوي بالقسم العربي من الإذاعة الألمانية ووجدها فرصة سانحة لفضح جرائم المحتلين لبلده المغرب من الفرنسيين والإنجليز، فأصدرت فرنسا قرارًا بنفيه نفيًا رسميًا من بلده المغرب، كما عملت بريطانيا على نزع جنسيته العراقية التي كان قد تجنس بها سنة ١٩٣٤م.

في سنة ١٩٤١م حصل على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم.

-عُين بعد الحرب العالمية الثانية أستاذًا بجامعة بغداد كلية الملكة «عالية» إلى أن قام الانقلاب العسكري فغادرها إلى المغرب سنة ١٩٥٩، سافر إلى تطوان بمساعدة الأستاذ المجاهد عبد الخالق الطريس رئيس حزب الإصلاح الوطني إذ ذاك.

-عين في سنة ١٩٥٩ أستاذًا بجامعة محمد الخامس ثم بفرعها بفاس إلى أن سافر مرة أخرى إلى ألمانيا.

-وفي سنة ١٩٦٨ تلقى دعوة من سماحة الشيخ الجليل عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك للعمل أستاذًا بالجامعة فترك المغرب الشيخ الهلالي وبقي يعمل بها إلى سنة ١٩٧٤م حيث ترك الجامعة الإسلامية وعاد إلى مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة إلى الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد ويجول في أنحاء المغرب ينشر دعوة السلف، كما كان من المواظبين على الكتابة في مجلة «الفتح» لمحب الدين الخطيب ومجلة المنار للشيخ رشيد رضا.

وله كتابات في مجلة الهدي النبوي أشهرها: القول السافر في صلاة المسافر، والعلم المأثور والعلم المشهور، واللواء المنشور في الرد على أصحاب الغرور المستفيدين بالقبور، وقد نُشرت زمن رياسة المجلة من الشيخ عبدالرحمن الوكيل.

صلته بالتيجانية

نشأ الشيخ تقي الدين الهلالي صوفيًا تيجانيًا ثم انتقل بفضل الله وتيسيره من التصوف إلى السلفية ومن كبار دعاتها، ومما يحكى عنه في كتابه «تجربة ذاتية» أن الرجل الذي أدخله التيجانية هو الذي أخرجه منها.

-كما ذكر في الكتاب حوادث كثيرة حصلت له في مصر والعراق والمغرب ومحاولات قتله، وحواراته مع الصوفية والمبتدعة.

أشهر شيوخه

الشيخ محمد سيدي حبيب الله الشنقيطي، الشيخ عبد الرحمن المباركفوري، الشيخ محمد بن حسن الحديدي الأنصاري اليماني، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (غير صاحب أضواء البيان)، الشيخ محمد رشيد رضا، الشيخ محمد بن إبراهيم، مفتي السعودية، بعض علماء القرويين، بعض علماء الأزهر.

مؤلفاته وإنتاجه العلمي

أحب أولاً أن أوجه نظر القارئ إلى أن الشيخ الهلالي كان شاعرًا مجيدًا للشعر، له قصائد كثيرة في كتابه «تجربة حياة».

ومؤلفات الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله كثيرة جدًا وجمعها ليس بالأمر الهين؛ لأنها أُلفت في أزمنة مختلفة وبقاع شتى، ومنها:

الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري، المجلد الأول فقط. والإلهام والإنعام في تفسير الأنعام، ومختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل، والهدية الهادية للطائفة التيجانية، والقاضي العدل في حكم البناء على القبور، والعلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور، آل البيت ما لهم وما عليهم، حاشية على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، حاشية على كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب، الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، دواء الشاكين وقامع المشككين في الرد على الملحدين، البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية وبريء من الألوهية، فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني، فضل الكبير المتعال (ديوان شعر)، أسماء الله الحسنى (قصيدة)، الصبح السافر في حكم صلاة المسافر، العقود الدرية في منع تحديد الذرية، الثقافة التي نحتاج إليها (مقال)، تعليم الإناث وتربيتهن (مقال)، ما وقع في القرآن بغير لغة العرب (مقال)، أخلاق الشباب المسلم (مقال)، من وحي الأندلس (قصيدة).

وفاته: في يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ الموافق ٢٢ يونيو ١٩٨٧م.

السنة تجمع المسلمين

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

السنة والاستقامة تعني الجماعة والعزة والتمكين، وعكسها البدعة والإعراض عن شرع الله الذي يعني بالضرورة (بالنسبة للمسلمين): الفرقة والذلة والهزيمة (والنكسات والنكبات).

وأهل الأهواء والمنافقون - قديمًا وحديثًا- عكسوا القاعدة - كعادتهم-، فزعموا أن التزام السنة ومحاربة البدع، والإنكار على أهل البدع والأهواء؛ سببٌ رئيس (في النكسات التي أصابت الأمة)، وهذا من التلبيس والجهل فإن العكس هو الصحيح، فإن المتأمل لأحوال المسلمين قديمًا وحديثًا يجد أن من أعظم سمات أهل الأهواء والبدع والافتراق شؤمهم على المسلمين في كل زمان ومكان.

ويكفيك أن تنتقل بذهنك إلى أحداث التاريخ المشهورة، والتي ألحقت بالمسلمين الذلة والفرقة والتشتت تجدها من أهل الأهواء، وأمثلة ذلك:

أول فتنة فرقت الأمة فتنة السبئية، وقد أدت إلى قتل خليفة المسلمين الراشد عثمان - رضي الله عنه - ثم تمخضت عن افتراق الخوارج والشيعة، عن جماعة المسلمين وإمامهم.

ولما ظهرت القدرية والمعتزلة والجهمية أفسدت عقائد طوائف من الأمة، وأوقعتها في الأهواء والفرقة والخصومات والمراء في الدين والفتنة في العقائد.

ولما تمكنت المعتزلة في الدولة ألزمت الأمة بالقول بالكفر (خَلْق القرآن)، وامتحنت العلماء وعرضتهم للسيف والسجن والإهانة، والقول بخلاف الحق.

ولما تمكنت دويلات الرافضة والباطنية كالبويهية والعبيدية والقرامطة، قمعت السنة وأهل الحديث وأظهرت البدع والإلحاد والزندقة والكفر وتسلط أوباش الباطنية على رقاب المسلمين، واعتدوا على المقدسات وقتلوا الحُجاج وأخذوا الحجر الأسود، وعاثوا في الأرض فسادًا، وأباحوا المحرمات، ومكّنوا للنصارى من دخول ديار المسلمين.

ولما تمكن بعض الرافضة من الوزارة في آخر عهد الدولة العباسية والدويلات التي تلتها خانوا الأمانة وأدخلوا التتار والنصارى ديار المسلمين ومكنوهم فيها.

ولما تمكنت الطرق الصوفية وأهل البدع من الدولة العثمانية في آخر عهدها ضعفت الأمة وذلت وعلقت أقدارها بغير الله، وتعلقت بالأضرحة والبدع والغلو في الشيوخ وتقليدهم بلا بصيرة، فأصابها الذل والتشتت وسلط الله عليها الأعداء فمزقوها وفرقوا شملها.

ولا تزال الفرقة والطرق الصوفية ببدعها ومحدثاتها من أعظم أسباب وهن الأمة وانحطاطها، ناهيك عن هيمنة الرافضة والباطنية وأهل الأهواء والبدع والعلمنة والإلحاد والإعراض عن دين الله وشرعه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض الآثار

والأهواء والبدع تفرقهم

إعداد / د. ناصر العقل

السلبية من جراء تأثير أهل الأهواء وتمكينهم، من ذلك:

شؤم الجعد بن درهم على دولة بني أمية ومروان بن محمد، قال: «وقد قيل: إن أول من عرف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون، هو الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، إني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا، ثم نزل فذبحه، وشكر له علماء المسلمين ما فعله، كالحسن البصري وغيره.

وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم». [الفتاوى ١٣/١٧٧].

وعن أثر الباطنية في إظهار الزندقة والرفض والإلحاد وشيوع البدع والطرق.

قال: «ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون «إنكار الصانع وإنكار عبادته» وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام الرافضة، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد، حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيعين ؛ وكذلك من كان من بني بويه في المشرق».

[الفتاوى ١٣/١٧٧].

أثر ابن سينا وأهل بيته (الباطنية الإسماعيلية) وشؤمهم على الدولة العباسية

قال: «وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال: وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة، وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر، ولم يكن بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ؛ ولهذا سمي حينئذ بأمير المؤمنين الأموي الذي كان بالأندلس، وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم، ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان، فلما ولي المقتدر قال: هذا صبي لا تصح ولايته فسمي بهذا الاسم». [الفتاوى ١٣/١٧٧].

قال: «وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم، ولكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم باطلاً كدينهم؛ بخلاف الأموي والعباسي، فإن كليهما نسبه صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين».

[الفتاوى ١٣/١٧٨].

ولما ظهرت البدع والنفاق والفجور سلط الله على المسلمين أعداءهم:

قال: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول ﷺ سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم والنصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئًا بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار والنصارى والمنافقين الملاحدة ؛ إلى أن تولى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فأنجدهم، وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة». [الفتاوى ١٣/١٧٨].

قال: «فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببًا لخيري الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة». [الفتاوى ١٣/١٧٩].

وقال: «فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع، سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام مظهرين للسنة كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والأهواء والفرقة والإلحاد والفجور، سلط عليهم الكفار، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤- ٨].

هكذا نجد أن ظهور البدع والزندقة والإلحاد على أيدي أهل البدع والأهواء والفرق كان سببًا لدخول التتار بلاد المسلمين:

قال شيخ الإسلام: «وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع، حتى إنه صنف الرازي كتابًا في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر، سماه (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم)، ويقال: إنه صنفه لأم السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي، حتى أنه وصى إليه على أولاده، وصنف له كتابًا سماه: الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية». [الفتاوى ١٣/ ١٨٠].

ثم ذكر شيخ الإسلام أثر الجهمية والمعتزلة في فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء:

قال: «ثم لما ولي الخلافة (يعني المأمون) اجتمع بكثير من هؤلاء - يعني الجهمية والمعتزلة-... ودعا إلى قولهم في آخر عمره، وكتب - وهو بالثغر بطرطوس التي ببلد سيس - إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتابًا يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا: القرآن مخلوق، فلم يجبه أحد، ثم كتب كتابًا ثانيًا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه فأجاب أكثرهم، ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد، وبقي اثنان لم يجيبا: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح ؛ فأرسلوهما إليه فمات قبل أن يصلا إليه، ثم أوصى إليه أخوه أبو إسحاق، وكان هذا سنة ثماني عشرة ومائتين، وبقي أحمد في الحبس إلى سنة عشرين فجرى ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة، ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه.

وظهر مذهب النفاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه وإلا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات، ولم يقبلوا شهادته، وكانوا إذا افتكوا الأسرى يمتحنون الأسير، فإن أجابهم افتدوه وإلا لم يفتدوه.

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي داود على ستار الكعبة: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْحَكِيم»، لم يكتب ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ثم ولي الواثق واشتد الأمر إلى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذ السنة».

[الفتاوى ١٣/١٨٣- ١٨٤].

قُلْتُ: لو كان شيخ الإسلام حيًا لرأى مصداق قوله في واقع المسلمين في كثير من بلاد المسلمين في الوقت الراهن تحت تأثير أهل الأهواء والبدع العلمانيين، والأقليات الباطنية، الرافضة، والصوفية، والمقابرية، والله المستعان.

بينما البلاد التي تسود فيها السنة لا تزال - بحمد الله - قوية عزيزة وشعائر الدين فيها ظاهرة، والسنة منصورة كما هو الحال في المملكة العربية السعودية، ولذلك ضاق أهلُ الأهواء ذرعًا بذلك، وبالمقابل نجد أنه كلما عاد المسلمون أو بعضهم إلى السنة أعزهم الله ومكّنهم ورفع عنهم الذلة والهوان، كما حصل في عهد صلاح الدين حينما نصر السنة وطهر الأرض من رجس الرافضة العبيدية (الفاطمية)، وغيرهم من دويلات أهل البدع، التي فرقت المسلمين، ثم لما قامت الدولة العثمانية في أول عهدها على نصر السنة - نسبيًا - تمكنت وجمعت شمل المسلمين، إلى أن دب فيها مرض التصوف والبدع فهانت وذلت، ثم لما قامت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية على نصر السنة وقمع البدع والمحدثات أعزها الله ومكنها، واجتمعت كلمة المسلمين في هذه البلاد عليها، وقويت السنة وأهلها، وانخذلت البدعة، وأهلها بحمد الله.

وهذا هو الحق لمن وفقه الله وهداه، وما عداه فهو الباطل الذي سيذهب جفاءً بحول الله وقوته، نسأل الله الهداية والتوفيق، ونعوذ بالله من الضلالة والخذلان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

البَدَاء عند الرافضة والندم عند اليهود

الحلقة الثانية

إعداد/
أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ثالثاً: أوجه الشبه بين عقيدتي البداء والندم

إن المتأمل في معنى الندم والبداء، يجد التقارب الواضح بين اللفظين، مما يدل على أن أصل فكرة البداء عند الرافضة قد أخذت من أسفار اليهود، فالندم يعني تغير الرأي في الأمر بعد حصول العلم الذي لم يكن يعلمه قبل ذلك، وهذا هو معنى البداء عند علماء اللغة، ومما يؤكد التشابه بين المعتقدين ما ورد في أسفار اليهود وكتب الرافضة من نصوص تتشابه إلى حد كبير، ومن أمثلة ذلك:

١- يدعي اليهود أن الله تعالى نصب شاول ملكًا على بني إسرائيل، ثم ندم على ذلك.

٢- يدعي الرافضة أن الله تعالى قد عين إسماعيل بن جعفر، وأبا جعفر محمد بن علي إمامين للرافضة، ثم بدا له فغيرهما.

٣- يزعم اليهود أن موسى عليه السلام راجع الله عندما أراد أن يهلك بني إسرائيل فرجع رب العالمين عن ذلك.

٤- تدعي الرافضة أن جعفر الصادق راجع الله في موت إسماعيل ابنه فأطرق الله مرتين.

٥- يزعم اليهود أن الله أراد هلاك بني إسرائيل، ثم ندم وكفَّ عن ذلك.

٦- يدعي الرافضة أن الله أراد إهلاك الناس في زمن النبي ﷺ ثم بدا له فرجع عن إهلاكهم.

٧- يدعي اليهود أن صفة الندم لا تنفك عن الله تعالى فهو دائمًا يندم على الشر.

٨- يزعم الرافضة أن الله اشترط لنفسه البداء، فالندم والبداء يقتضيان مدحًا وتعظيمًا لرب العالمين عند اليهود والرافضة.

ولا شك أن مضمون الندم والبداء واحد ويفضي في النهاية إلى نتيجة واحدة، وهي نسبة عدم العلم إلى الله سبحانه، فهو لا يعلم بعض الأمور والمصالح إلا بعد حدوثها. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ومن الذين لاحظوا هذا الشبه الكبير بين المعتَقَدَيْن موسى الجار الله مصنف كتاب «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة»، ومحمد مال الله في كتابه «موقف الشيعة من أهل السنة».

رابعاً: إبطال ذلك المعتقد الفاسد

لقد دلت الأدلة النقلية والعقلية على فساد معتقد اليهود والرافضة في نسبة الندم والبداء لرب الأرض والسماء، أما الأدلة النقلية فمنها ما ورد في الكتاب، ومنها ما ورد في سنة النبي ﷺ.

أ- أدلة الكتاب

بيّن القرآن الكريم أن رب العالمين سبحانه له صفة العلم التام، فهو سبحانه يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يقول جل شأنه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ويقول سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]،

ويقول تبارك وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]، وكذا دلت الآيات على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه وذلك بناء على علمه السابق به قبل وجوده، يقول جل شأنه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، فما من شيء في الكون يخرج عن تقدير الله وتدبيره سبحانه ولا يخرج عما قدره الله وكتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة، وقصة آدم عليه السلام تبين أن رب العالمين يعلم ما سيكون قبل أن يكون، يقول جل شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أعلم ما لا تعلمون من شأن إبليس». وقال مجاهد: «علم من إبليس المعصية وخلقه لها».

فكل ما حدث من آدم وإبليس معلوم عند الله تعالى، ومقدر قبل وجودهما كما بينت الآيات.

٢- بيّن سبحانه أن من الصفات التي يجب ألا تنسب إليه جل شأنه النسيان، فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، قال سبحانه: ﴿لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى﴾.

٣- إن دعوى الرافضة في أن الله كتب الموت على إسماعيل ثم أخره لطلب جعفر الصادق منه سبحانه أن يؤخر يعارض قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقوله جل شأنه: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

٤- إن استدلال الرافضة على عقيدة البداء بقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ فيه من الجهل ما فيه؛ إذ أن مقصود الآية أن التغيير قد يقع في الصحف التي بيد الملائكة وأما ما في اللوح المحفوظ فلا تغيير فيه ولا زيادة.

ب- أدلة السنة

وقد وردت الأحاديث من السنة المطهرة تثبت صفة العلم لله عز وجل منها:

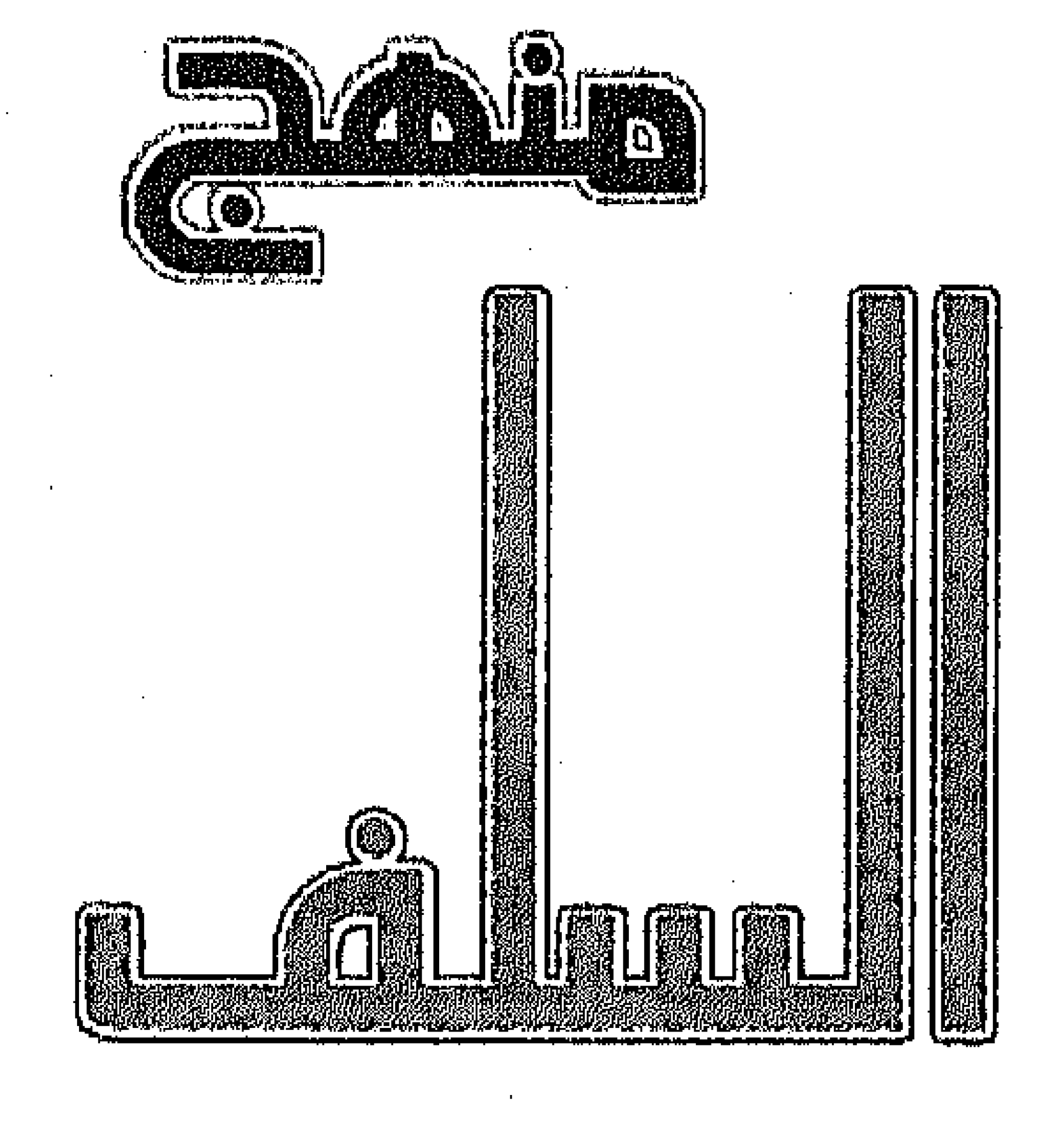
١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». رواه البخاري، كتاب القدر.

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء». [مسلم، كتاب القدر].

٣- ما رواه البخاري في كتاب التفسير أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾».

وختامًا فإن العقل الصحيح يدل على إثبات صفة العلم لله سبحانه، فيستحيل خلق الأشياء مع الجهل، لأن الخلق يستلزم الإرادة والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم به، فضلاً عن أن الإتقان والإحكام في الخلق يدل على علم الخالق جل وعلا، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم، هذا مع علمنا أن العلم صفة كمال والجهل صفة نقص، فهل يمكن أن نصف الخالق بصفات النقص، أم أنه العمى والضلال؟

سبحانك هذا بهتان عظيم. والله من وراء القصد.



في تفويض الصفات
الحلقة الثامنة عشر
ما استشكل أمره من الصفات واستغلق معناه

إعداد / محمد عبدالعليم الدسوقي

ومما يجب فعله فيما استشكل أمره من الصفات واستغلق معناه: ترك السؤال عن غوامض تيك المعاني لا لكون ذلك تفويضاً ولكن تيمناً بما كان عليه الأولون ولعدم ورود السؤال عنها عن السلف ولكي تتربى القلوب على أن يسعها من ذلك ما وسعهم: وقد نص الإمام مالك على ذلك في حق ما هو بيّن ومنقول معناه عن السلف وذلك حين أجاب سائله عن معنى الاستواء قائلاً: (والسؤال عنه بدعة).. فلأن يكون في حق ما هو دون ذلك مما غمض من باب أولى»، قال أحد علماء السنة- في موقف السلف في نحو صفات المجيء واليمين والنفس- حرام على الخلق أن يكيفوه وعلى الضمائر أن تضمر فيه غير المنقول، وحرام على النفوس أن تتفكر فيه وحرام على الفكر أن يدركه، وحرام على كل أحد أن يصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في أخباره الصحيحة عند أهل النقل والسلف المشهورين بالسنة المعروفين بالصدق والعدالة، وجميع آيات الصفات التي في القرآن والأخبار الصحاح التي نقلها أهل الحديث، واجب على جميع المسلمين أن يؤمنوا بها ويسلموا بها ويتركوا السؤال فيها وعنها لأن السؤال عن غوامضها بدعة»(١).

وهذا النص فيما يبدو هو من كلام إمام الشافعية في وقته والذي إليه - على حد قول الذهبي - المنتهى في معرفة المذهب أبي العباس بن سريج ت ٣٠٦ وتمامه: «حرام على العقول أن تمثل الله سبحانه وتعالى وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقع، وعلى الضمائر أن تعمق وعلى النفوس أن تفكر وعلى الأفكار أن تحيط وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق، الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى..﴾ [طه: ٥]، وقوله تعلى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة والرضى والغضب والمحبة والكراهة والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء والدنو كقاب قوسين أو أدنى وصعود الكلام الطيب إليه وعروج الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه وندائه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله للملائكة وقبضه وبسطه وعلمه ووحدانيته وقدرته ومشيئته وصمدانيته وفردانيته وأوليته وآخريته وظاهريته وباطنيته وحياته وبقائه وأزليته وأبديته ونوره وتجليه والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو قوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾.. [الزخرف/ ٨٤]، وسماعه من غيره وسماع غيره منه وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

وجميع ما لفظ به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من صفاته كغرسه جنة الفردوس بيده وشجرة طوبى بيده وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه قدمه على النار فتقول قط قط، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان وليلة القدر، وكغيرته وفرحه بتوبة العبد واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء، وأنه ليس بأعور وأنه يعرض عما يكره ولا ينظر إليه وأن كلتا يديه يمين، واختيار آدم قبضته اليمنى وحديث القبضة وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثوات من جهنم فيدخلهم الجنة، ولما خلق آدم عليه الصلاة السلام مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال ثم ردهم في صلب آدم، وحديث القبضة التي يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط عادوا حمماً فيلقون في نهر من الجنة يقال له نهر الحياة، وحديث خلق آدم على صورته، وقوله: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن).

وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور، وكلامه تعالى لجبريل والملائكة ولملك الأرحام وللرحم ولملك الموت ولرضوان ولمالك ولآدم ولموسى ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وللشهداء وللمؤمنين عند الحساب وفي الجنة، ونزول القرآن إلى سماء الدنيا وكون القرآن في المصاحف وما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقوله: (الله أشد أذناً لقارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته)، وأن الله سبحانه يحب العطاس ويكره التثاؤب وفرغ الله من الرزق والأجل، وحديث ذبح الموت ومباهاة الله تعالى، وصعود الأقوال والأعمال والأرواح إليه، وحديث معراج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ببدنه وبيان نفسه ونظره إلى الجنة والنار وبلوغه العرش إلى أن لم يكن بينه وبين الله تعالى إلا حجاب العزة، وعرض الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وعرض أعمال الأمة عليه، وغير هذا مما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه.

اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ولا نفسرها ولا نكيفها، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله عز وجل ونفسر ما فسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجمع على ما أجمعوا عليه ونمسك عما أمسكوا عنه ونسلم للخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول الإيمان بها واجب والقول بها سنة وابتغاء تأويلها بدعة»(٢).

والحق أن الكلام في ذم بدعة الخوض فيما سكت عنه الأولون وفي ذم أهل الابتداع وأرباب الكلام في عدم السكوت عما سكت عنه سلف هذه الأمة أكثر مما يحصى، وحسبنا ما أورده الأصبهاني بسنده عن أنس: (إياكم والبدع)، فقيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: (أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)، وما أورده بسنده عن الشافعي: (لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بما نهي عنه خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام)(٣)، وما أورده كذلك بسنده عن نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام والأعراض والأجسام فقال مقالة الفلاسفة؟ فقال: (عليك بالآية وطريق السلف وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة)(٤).

يقول الشيخ الإمام ابن مندة: «أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض، وقالوا: لم يكن على عهد الصحابة والتابعين- رضي الله عن الصحابة ورحم التابعين- ولا يخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به فيسعنا السكوت عما سكتوا عنه، أو يكونوا سكتوا عنه وهم غير عالمين به فيسعنا أن لا نعلم ما لم يعلموه والحديث الذي ذكرنا- يعني به حديث عائشة: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)- يقتضي أن ما تكلم فيه الآخرون من ذلك ولم يتكلم فيه الأولون يكون مردوداً»(٥).

هوامش

١ - الحجة ٢/ ٤٦٨مجلد١وينظر ذم التأويل لابن قدامة ص, ١٠

١- اجتماع الجيوش ص ٦٢- ٦٤ وينظر العلو ص١٥٢، ١٥٣,

٣ - ينظر الحجة١/ ١١١واللالكائي, ١٤٥

٤ - الحجة١/ ١٠٥,

٥ - الحجة للأصبهاني١/ ١٠٠,

هل تريد أن تكون جزءاً من مشروعنا الخيري



لمن يرغب في التبرع يرجى التوجه إلى المركز الرئيسي لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ٨ شارع قولة - عابدين - الدور الخامس - أو الاتصال بهاتف رقم ٢٣٩٥٩٢٠٣ أو عمل إيداع على حساب رقم ٢١٣٧٩٧ بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - يرجى إرسال صورة الحوالة على فاكس رقم ٢٣٩٥٩٢٠٣ أو عمل حوالة بريدية باسم / مدير إدارة الأيتام على مكتب بريد عابدين على نفس العنوان